

# أولاً للمجتهدين

دراسة سسيولوجية جديدة  
لحياة الميرزا موسى الحائري تدل  
بمناسبة الذكرى المائة والخمسين على ولادته

مؤليف / حسن الشيخ

دار الرأي العربي

بيروت - لبنان

٢٠٠٨ - ١٤٢٩



# أولئك المجتهدون

دراسة سسيولوجية جديدة  
لحياة الميرزا موسى الحائري  
بمناسبة الذكرى المائة والخمسين على ولادته

تأليف / حسن الشيخ

الأوقاف

دار الرأي العربي  
بيروت - لبنان  
١٤٢٩ - ٢٠٠٨

موقع الأوقاف  
Awhad.com



هوية الكتاب :

- الكتاب: أول المجتهدين
- تأليف: حسن الشيخ
- الطبعة الأولى
- القطع: وزيري = القياس ٢٤×١٧
- الطبع: دار الرأي العربي - بيروت - لبنان
- عدد الصفحات: (١٥٤) .
- المطبوع: ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





## موكب مسجى

أيها المولى الجليل :  
الذي مشى فوق ركام الغيوم ، بك وثقت عروة الدين ، إليك انتهت  
مقاصد الأمم ، كأنك واو الوصل بين قلم ودم ، في معركة عقدت لبدائياتك  
فيها الوية النصر .

أيها الشيخ الوقور ، يا من نسجت لنا أثوابا للكرامة من غزل تسبيحك  
وتهجذك ، وأنت تتسربل بأطمارك .

فيا مولاي إعذرنى أن كتبت عنك تاريخاً ، فصدى تسبيحاتك ، ليست  
سوى خميرة عجينته التي شكلتها لنا كلماتك البكر ، فأنت أول المجتهدين  
وليس بأول من اجتهد . وأنت أول العارفين وليس بأول من عرف  
لكنك أول من عبد الفج ، ووضع الركيزة ، ورفع البناء ليطل على هامات  
الدنيا .

أسمح لي يا أول المجتهدين ويا أبا المجتهدين الذين أنبتهم من همسات  
أذكارك ، فخرّوا سجداً لآيات نجواك بين يدي خالقهم ، أن أناجيك بهذه  
النجوى ؟ .

سيدي :

خمسون ومائة عام مضت منذ أن حملتك أمك رضيعاً ، وأنت تتمم  
بذكر مولاك ، حكمتها يوماً بأحرف من نور فيضك ، وعجنتها بأريج نذاك  
فما أحوجنا اليوم إلى لفاك .

يا بطولة لم تصدر لها قرقعة على صفحات الوقت ، ويا صرخة حق  
ليس لها صدى في الطبول الجوف .

إسمح لي يا صاحب القلب الكبير أن أبتدئ التاريخ منك ، واختم الكلم  
فيك ، متقدم إلى محرابك خطوة خجلى ، واقف متأملاً عند شواطئ بحرك  
العميق .

إسمح لي يا أول المجتهدين ، فقد زكى عطر نجواك بحفيف قيامك ،  
فأصبحت أول العارفين ، فطاب وصل الأوائل من شمائلك بالأواخر .

فسمى نسبك بأخر الأنبياء  
وعلا ذكرك بأخر الأوصياء  
وكملت عقيدتك بأخر الفلاسفة

\*

\*

\*

أيها المولى الكريم :

الذي خطى حافياً على صفحات الأيام ، تقبض وأنت ابن العشرين  
جموح هواها ، و تقبض وأنت ابن الثمانين تبر عطاها . حتى كأنك جسر  
ورد بين جيل وجيل ، و لكأنك قائد حرب في جيش مهيب بألوية عالية .

يا أيتها العمامة القمرية ، المشعة بلون البياض الساطع على أبواب  
رجاء الرحمة ، فكأن إعتجارك لها لهو امتداد لتسيحات الملائكة

المسجونة في أفلاك الملكوت ، تتذوق طعم الشهد بحب ، ويفوح بذكر  
تهجدها الياسمين إلى مقعد لا يرتقيه إلا ابن وصي .

أيتها الكلمات الحق التي دكّ حسيها أسوار المدائن ، وهزت شغاف  
القلوب التي صمتت على ضغينة دفينه ، وأخفت أسنتها ولامة حربها من  
حسك .

سيدي :

أيق لي أن أحتفي بك وأنت ميتاً ، تزف إلينا بموكب ملائكي يحكم في  
الأحياء ؟ .

أم إنك حي لم تمت ؟ تأتي إلينا اليوم يا ابن الأمير كما يأتي كل الأمراء  
في موكب مهيب بأعلام طوال ، لنقوم مطأطني الرؤوس لاستقبالك  
وأنت مسجى في موكبك ، فكيف يكون موكبك هو المسجى ؟ .

## تقديم

هذه دراسة سسيولوجية جديدة وجادة ، مزجت بين إستنطاق التاريخ واستبصار المجتمعات ، دراسة مركبة بين عبرة التاريخ وتدبر المجتمع من أجل إستعلاء شخصية رائدة من شخصيات عالمنا الإسلامي .

ونحن نزعّم إن هذه الدراسة - وعلى صغر حجمها - دراسة فريدة غير مسبوقة لكشف جوانب العظمة في حياة الميرزا موسى الحائري أحد أبرز مراجع الشيعة في القرن المنصرم ، إلا أنها قطعاً ليست دراسة متكاملة ، فكيف يمكن لدراسة من بضع صفحات ، أن تلم بكل أبعاد عطاء شخصيته ؟ ، وكيف لدراسة قاصرة أن تكتشف كل نواحي الشموخ والكبرياء عند هذا المولى الجليل .

وبعد ، إنها دراسة شاقة ومتعبة ، لأنها دراسة بكر أمضينا لانجازها سنوات عدة من المطالعة والتصفح ، والبحث والتثبت من مصادرها وتتكى الدراسة - من جهة أخرى - على رصد الظواهر الإجتماعية وتفكيكها ، وإعادة بناءها من جديد في إطار تأثير متبادل بين الأفراد ومجتمعاتهم ولنقدم - في النهاية - للقراء منهجاً مبتكراً ، ودراسة متميزة تليق بعظماننا الكبار .

ولكن إلى أي مدى هذه الدراسة كانت شاقة ومتعبة ؟ لن نختصر الإجابة هنا ، إلا أننا نشير إلى أن التجاهل الذي وقع على هذا العظيم من عظماء الأمة الإسلامية ، قد صعب من مهمة الباحث .

ولكنها دراسة حزينة أيضاً ، فسيلاحظ القارئ مقدار الحيف والجور اللذان وقعا على شخصية مجاهدة من علماء الأمة الإسلامية ، جرمها الوحيد أنها رفعت لواء آل بيت النبوة .

إن هذا الكتاب يقدم اليوم للعالم الإسلامي بمناسبة مرور مائة وخمسون سنة على مولده الشريف ، محاولين ترجمة حياته ، ولكن بطريقة مغايرة طريقة تليق بعطائه وهيبته وشموخه .

إنها ليست دراسة عادية ، لأنها كتبت لشخصية غير عادية أيضاً ، وما أسهل الترجمة التي تتبنى النقل منهجاً وحيداً لها ، دون تثبت أو تبصر همها الأول ( كم ) كتبت من صفحات بدلا من ( ماذا ) كتبت في تلك الصفحات الطوال ، لذلك فهي دراسة تحاول إثارة الأسئلة ، أكثر من كونها تجيب على أسئلة عدة .

من جهة أخرى فهي دراسة متشابكة ، تعتمد بالدرجة الأولى على منهج البحث الاجتماعي لدراسة المجتمعات ، من رصد وتحليل لعوامل قوتها وضعفها وكشف أسباب صراعاتها ، كما أنها دراسة في التاريخ والسيرة أيضاً ، تستخدم أدوات المؤرخ بعيداً عن العاطفة ، لذلك فإن العاطفة لا تشوب دراسة من هذا النوع - وإن كان لا يعيبها - ان بدت العاطفة في ثنايا العرض والتدقيق والتحليل والاستنتاج .

ولابد أن نشير ونحن في صفحة البداية ، أن هذه الدراسة تقوم على احترام جميع مراجعنا العظام ، و علمائنا الأعلام ، ولا تهدف للانتقاص من أحد منهم ، وإن عاتبنا بعض الترجمات التي كتبت عنهم ، أو قست على بعض من أهملت ذكرهم جهلاً أو تجاهلاً ، فإنها تبقى في إطار ما كتب عن سيرتهم بأيدي غيرهم ، وفي إطار النقاش العلمي للترجمة ، لا للمترجم لهم .

إن هدف هذه الدراسة بوضوح الإنتصار لكل مراجعنا العظام ، و لكل علمائنا ومشايخنا الكبار دون استثناء ، فغاية أملنا التوحيد بين أبناء المذهب الواحد ، وبين أبناء الوطن الواحد ، وبين أبناء الأمة الواحدة .

لذلك فإن الحديث عن تراجم هؤلاء العظام لا يعني الحديث عنهم  
فهناك فرق كبير بين الحديث عن الترجمة ومقدار دقتها ومصداقيتها  
وبين الحديث عن شخصية من شخصياتنا الكبار اللاتي نحترمها ونقدرها  
ونجزم ان البعض لن يفهم ما نعنيه الآن ، وما سبق وإن أكدنا عليه مراراً  
هنا .

## أولاً : فتاوى وحروب

بين الكلمة والرمح توافق عجيب ، واختلاف أعجب ، فكلاهما يجرحان ويشعلان الحروب ، وكلاهما يصنعان الحاضر ، ويهدمان انجازات الماضي إلا أن الكلمة وحدها قادرة على صنع الحاضر والمستقبل معاً بينما يبقى الرمح مركزاً في الحاضر فقط .

وإذا تتبعنا تاريخ الإنسانية الطويل ، لهلنا أن نجد أن حضارات الأمم قد بنتها الكلمات ، وأن انهيارها كان من رماح مشرعة . أما حاملي الكلمة العادلة ، و النزيهة ، فهم في ميزان العدل الإنساني أبطالاً ، بينما حاملي الرمح - أحياناً - شجعاناً ، في كفة ترجيحية من ذلك الميزان . أما إذا ضبط ميزان العدالة الإنسانية يوماً ، فلن يكون نصيب حاملي الرمح إلا الجهل ، بينما يبقى حاملي الكلمة ، رجال صلح وسلام . و شتان بين رجال الحروب ورجال السلام و شتان بين مفهوم البطولة ومفهوم الشجاعة في معيار الخلق الإنساني . راجع كتابنا ( السيدة زينب بطولة ورسالة ) ص ( ٧٧ - ٨٠ ) .

إلا أن وبعد كل ذلك ، يمكن أن تتحول الكلمة إلى رمح طويل حاد، و يتحول الرمح إلى مشروع للسلام ، ودعوة للجهاد ، وإعلاء حق وإزهاق باطل.

ولو عاودنا النظر الى تاريخ الإنسانية المتراكم ، لأفزعنا كثرة الحروب والدمار ، و الدماء ، والنزاع اللامتناهي . ويمكن ان نعد التعصب بكل أشكاله ، رائد تلك الحروب والنزاعات القديمة منها والحديثة . و بدلا من فهم المجتمعات على أساس النظريات الوظيفية ، والعضوية ، وقدرتها على فهم التضامن الإجتماعي ، أو تفسير التوازن الاجتماعي ، ظهرت نظريات النزاع في محاولة جديدة لتحليل المجتمعات وإعادة فهمها . ولتضييف أبعادا هي أقرب إلى الواقعية ، في إطارات علماء الاجتماع

الفكرية . د. حكمت العرابي ( النظريات المعاصرة في علم الاجتماع ) ص ١٣٧ .

لقد أضحى علماء الاجتماع يؤمنون اليوم أكثر من أي وقت مضى، بان الصراع ظاهرة إنسانية طبيعية ، بل ولصيقة بالحياة ، وفي كل أدوار الحياة ومستوياتها. ولا يهمننا هنا ان نغرق في بحث نظري حول نظريات الصراع الاجتماعية، و علمائها و تفسيراتهم الخاصة و رؤاهم لمفاهيم الصراع الاجتماعي . بل كل ما يهمننا هو ان نشير باختصار إلى تحول علماء الاجتماع في تفسيراتهم للمجتمعات على أساس من المفاهيم الجديدة مثل القهر والاضطهاد ، و فرقت بين القواعد الأخلاقية والقانون . بل وحلت مفردات مثل الجماعات والجماعات المعادية بدلا من الإنسانية والمجتمع.

وتضيف الدكتورة حكمت العرابي مفسرة ظاهرة الصراع الاجتماعي في نظرياتها المعاصرة ( ويبدو الصراع في تصور هو بز للحياة الأولى التي كان عليها الإنسان على أنها حرب الكل ضد الكل ، كما تأكدت فكرة الصراع استنادا إلى رأي دارون في فكرة الصراع من اجل البقاء ، ولقد ظهرت معالم فكرة الصراع في الحياة الاجتماعية عندما أشار ماركس الى وجود الصراع بين مصالح كل من طبقتي أصحاب رؤوس الأموال والعمل ، و ينشأ هذا الصراع نتيجة لتعارض علاقة الطبقتين بأدوات الإنتاج) ص ١٣٩ .

إلا أن علماء الاجتماع أضافوا أيضاً إلى كل ذلك التعصب المقيت كمحرك رئيس للصراع بين الجماعات . و يعتبر مفهوم التعصب - على المستوى الأكاديمي - من أكثر المفاهيم إشكالية تنسج حضورها في أدبيات العلوم الإنسانية ، لذلك وفي ظل هذا السياق نؤكد من جديد على أشكاله المختلفة والمتباينة . فبالإضافة إلى التعصب الديني الذي هو أخطرها و أشدها قوة ، هناك التعصب الثقافي ، و الطائفي ، والعرقي إلا



أن التعصب بكل أشكاله (يتجلى في مختلف صورته و تجلياته على جوهر واحد قوامه الإنقياد العاطفي لأفكار وتصورات تتعارض مع الحقيقة الموضوعية) د. علي وطفه ، عالم الفكر، ٢٠٠٢

### حرية التفكير :

دأب المؤرخون على التذكير ، بأن الحرية بلا فكر لا قيمة لها بل هي فوضى وضياح ، كما أن التفكير بلا حرية لا رسالة له ، وهو في النهاية جمود ونفاق وقيود ، ولقد خاضت الإنسانية صراعاً مريراً في سبيل حرية الفكر وحرية التفكير ، وكان عدوها الأول هو التعصب البغيض بكل أشكاله .

وقد خاضت الإنسانية ، منذ عهدها الأولى حروباً ضروسة ، للانتصار لحرية التفكير، و الإنفلات من (التابو) تلك الفكرة العجيبة التي أوجدها المجتمع البدائي ليحمي سلامة الأفراد، و يؤمن سلامة المجتمعات، وفكرة (التابو) في تلك المجتمعات البعيدة في القدم، تقوم مقام آلاف القوانين والأنظمة ، و تغني عن رجال الأمن والمحاكم والسجون. وردع التابو يعتبره محمد العزب موسى في كتاب (حرية الفكر) أنه أشد من ردع القانون ، لان ردع التابو داخلي . فهو في جوهره عقيدة دينية في أشد صورها صرامة، وفي قيود التابو عاش الإنسان كل حياته تقريباً وبالتحديد ٩٨٪ من حياته على الأرض. ص ١٤ .

إلا أن الحضارات الإنسانية ، والتي عاشت صراعاً و تسامحاً لحرية الفكر ، قد تباينت في تعصبها وتباينت أيضاً في الحرية التي منحتها لأفراد شعوبها ، لذلك فإن المؤرخين يشيرون إلى ذلك الجو اليوناني المشبع بالحرية الثقافية والروحية والقادر على التسامح ، ولعل السبب في ذلك لأن الإغريق لم يكن لهم كتاباً مقدساً يقيدهم .

إلا أن الواقع يشير إلى أن الحضارة اليونانية عاشت تعصباً شهيراً .  
ويكفي أن يذكر اسم فيلسوفها الأول حتى يسترجع المرء أشهر حالات  
الصراع بين التعصب وحرية الفكر في تاريخ أثينا . العزب موسى ،  
حرية الفكر ، ص ٢٦ ، ١٩٧٩ .

كانت المجتمعات الرومانية القديمة ، و التي عرفت بسطوتها  
العسكرية، أكثر تسامحاً فكرياً ودينيّاً من الإغريق مع فارق كبير بين  
هاتين الحضارتين . كانت حرية الفكر تعد من المثل العليا عند المجتمعات  
اليونانية ، بينما اعتقدت الحضارة الرومانية أن حرية الفكر شيئاً تافهاً ، لا  
يستحق الإعتناء به أو الإعتراض عليه إلا أن عجلة الزمن قد دارت،  
وأصبح المسيحيون هم أصحاب السلطة في الإمبراطورية الرومانية .  
وتحولت الحرية التي عاشتها الإمبراطورية الرومانية الوثنية ، إلى  
إمبراطورية للتعصب و الجهل ، و أمست كنيسة روما أكثر قسوة و عنفا  
في تقبل الرأي الآخر . بل و أعلنت الكنيسة حرباً ضروساً لا هوادة فيها  
على كل ما ليس مسيحياً وبلغت ضراوتها و عنفها ضد العقائد الأخرى حدا  
لم تبلغه الحركات البربرية نفسها.

و يحدثنا التاريخ أنه في عام ١١٩٨ م اعتلى عرش البابوية واحد من  
أقوى البابوات في تاريخ الكنيسة ، ألا وهو البابا انوسنت الثالث ومعنى  
اسمه البريء . وهذا البابا البريء مشهور في التاريخ بمذبحتين كبيرتين :  
المذبحة الأولى كانت ضد المسيحيين في القسطنطينية ، أما المذبحة الثانية  
فكانت ضد الهراقة في جنوب فرنسا لإخماد ما عرف باسم فتنة  
الشیطان، كما يرجع له الفضل في إختراع محاكم التفتيش .

ومع مجيء البابا جريجوري الرابع كانت محاكم التفتيش قد اتخذت  
بعداً تنظيمياً و عقائدياً . فأصدر البابا أمراً للأساقفة بأن يستخدموا  
(إعترافات) المخالفين في الرأي - الهراقة - في مقاومة الهراقة  
وسحقها . و بذلك خانت الكنيسة مبادئها و حولت الإعتراف إلى تجسس .

يصف الكاتب اللبناني جورج جرداق محاكم التفتيش تلك ، أثناء استعراضه لصراع الإنسانية لنيل حريتها في كتابه ( بين علي والثورة الفرنسية ) ان محاكم التفتيش أكبر خطراً على تاريخ الإنسانية أمام الوصول إلى حريتها . ويضيف ( كان قضاة محاكم التفتيش يعتقدون أن من يمثل أمامهم كفاراً ، أما الناس فعليهم جميعاً أن يشهدوا ضده . وعلى الزوجة والأولاد أن يشهدوا كذلك ضد الزوج والأب وإلا عذوبه . وكانوا يضعون المتهم في أنواع من السجون لا يطيق الحيوان أن يقيم فيها ساعة واحدة لظلمتها ورطوبتها وضيق دهاليزها وإنحدارها في أعماق الأرض وفساد ما فيها و غلظة حراسها وما ينال ( ضيوفها ) من صنوف الإهانة والأذى والتعذيب . وكانوا حين يستنطقونه يسوقونه إلى حجرة ذات جدران مزدوجة السمك ، بينها وبين النهار حجرات دونها حجرات ، وفي حجر الإستنطاق بالذات تتناثر حول (المتهم ) عشرات الأصناف من آلات التعذيب . ولم تكن هذه المحاكم تخضع لقانون أو لقاعدة إلا إرادة قضاتها . وكان من المستحيل أن ينجوا أحد من سلطتها . ولم يكن هنالك ما هو أسهل من إتهام احد الناس و إلقاءه في قبضة المفتشين . إذ يكفي لذلك أن يكون لك عدو يرغب في التخلص منك فيلفت أنظار الجماعة إليك . فإذا أنت بين أيديهم ) .

ولكن لا مذابح البابا انوسنت الثالث ، ولا محاكم التفتيش ، ولا مطاردة الهراطقة ، استطاعت أن تسحق وإلى الأبد روح النقد والتفكير ، وعلى الرغم من عصور أوروبا المتوسطة ، التي سيطرت فيها الظلمات و الإقطاع والتعصب ، إلا أن ثورة المحتجين أو ( البروتستانت ) تشتعل مع حلول القرن السادس عشر . وكانت أهم حركتين في أوروبا : النهضة والإصلاح الديني ، والحركة البروتستانتية ، اللتين في جوهرهما تعبيراً عن حرية الفكر .

## تاريخ الشرق

ولو أردنا أن نتصفح تاريخ الشرق سريعاً ، لنقرأ مفاهيم حرية الفكر ، ونتطلع إلى صراعاته في سبيل مقاومة التعصب ، ورفض فتاوى التكفير ، لوجدنا ان ملامح هذا التاريخ لا تختلف كثيراً عن ملامح تاريخ سائر الشعوب الاخرى ، فهو حلقات متصلة في سلسلة طويلة من العدوان والقتل والتكفير يقوم بها طاغية أو تافه ، من أجل تحقيق رغبة في السيطرة على رقاب الخلق ، وعلى أموالهم وجهودهم وكرامتهم . جورج جرداق ( بين علي والثورة الفرنسية ) ص ١٧٠

هذه السلسلة الطويلة الحلقات من القتل والحروب وإهدار الكرامة، يقوم بها ( أبطال ) من المتعصبين ضيقي الأفق ، بدافع الغيرة على الدين والوطن والأخلاق . فإذا ( أبطال ) الغرب هم عينهم ( أبطال ) الشرق في سماتهم وخصائصهم وسلوكياتهم إلا أنهم يختلفون في أسمائهم فقط .

أما إذا دققنا النظر، في صفحات شرقنا العربي ، لوجدنا أن الدين الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه واله ، لخير الإنسانية ولصلاحها ، قد إستغله بعض الحكام لأهداف ضيقة ، ولمصالح فردية ، وحوّلوا التسامح الكبير الذي جاء به النبي إلى مفهوم ضيق من القبلية و العنصرية . وحوّلوا التسامح الإسلامي إلى تعصب وعصبية جاهلية . دونك التاريخ الأموي ، كيف أطلق الأمويون سيوفهم في رقاب المسلمين ، يقتلون وينهبون ولا يشبعون من كنز المال والمتاع . وليتهم إكتفوا بذلك ، بل عمدوا إلى استرقاق الناس ، وهدر كرامتهم ، و التضيق على معتقداتهم ، والسخرية من أفكارهم . و تجرأ يزيد بن معاوية على هدم الكعبة، و استباحة المدينة المنورة، بل وقتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

ولا يختلف تاريخ العباسيين عن تاريخ بني أمية . فقد سار خلفاؤهم على خطى الأمويين . فلم تختلف صفحات التاريخ حتى في تفاصيلها أحيانا . فهنا وهناك انتهاك الحرمات ، والمذابح ، واغتصاب الأموال،

والحقوق ، والقتل على الشبهه ، بل ومحاربة الأفكار والآراء في تضيق لم يشهده تاريخ المسلمين . وكان (البطل) الأول في هذه الحروب الشنيعة هو (التعصب) بكل الوانه وأشكاله .

و يحدثنا المسعودي في ( مروج الذهب ) ومحمد كرد علي في ( الإسلام والحضارة العربية ) وغيرهما عن الإضطهادات الفكرية في عهد بني أمية ، ولم يعرف قبلهم إضطهاد فكري . إلا أن هذه الإضطهادات كما يرى محمد العزب موسى في ( حرية الفكر ) هي إضطهادات سياسية في جوهرها . فأصبح إضطهاد العلماء و المفكرين و الفلاسفة أمراً في غاية السهولة و البساطة بحجة الزندقة أو بحجة الدفاع عن الدين الإسلامي. وهكذا عمد الخلفاء على تصفية خصومهم السياسيين بتلك الوسائل الرخيصة .

وقد جد الخليفة المهدي العباسي في طلب الزنادقة والبحث عنهم ، وعمل على تقصيب الفلاسفة ( أي تقطيع أوصالهم ) و حرق كتبهم . راجع كتاب ( الإسلام والحضارة العربية ) ص ٧١ .

أما الخليفة المأمون فقد أخذ بنصيحه قاضيه المعتزلي ، وجهر بعقيدة خلق القرآن ، مخالفاً في ذلك رأي المحافظين . إلا أنه لم يكتف بالجهر بهذه العقيدة ، بل حمل رجال الدولة على الأخذ بها ، ومن أنكر أو خالف عوقب عليها . وأنشأ ديواناً خاصاً لمعاقبة وملاحقة كل من لا يؤمن بخلق القرآن . وعرف هذا الديوان بعد ذلك بديوان المحنة ، لما اكتسبه من شهرة سيئة . وبذلك كان هذا الديوان أول محكمة للتفتيش في الإسلام . وكان من أشهر ضحاياه الإمام أحمد بن حنبل ، حيث كان ابن حنبل ممن إمتنعوا عن القول بخلق القرآن .

وسار المعتصم العباسي على سياسة أخيه المأمون في التشيع لآراء المعتزلة ، والتنكيل بكل من يخالف ذلك . واستمرت محنة ابن حنبل حتى مجيء الخليفة الواثق . والصحيح أن التضيق على ممن قالوا بأن القرآن

الكريم قديم ، بدأت في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في معادلة عكسية لهوى الخلفاء العباسيين . راجع كتابنا ( آخر الفلاسفة ) ص ١٠٥ - ص ١١٠ .

وسار الخلفاء العباسيون على خطى الأمويين في التضيق و التنكيل على كل من شايع آل البيت عليهم السلام . وتقصد الخلفاء العباسيون أئمة آل البيت عليهم السلام تحديدا ، فسجنوا وعذبوا وقتلوا بتجرع السم الواحد تلو الآخر . كما لوحق العلماء والفلاسفة في عهد الأمويين والعباسيين ، ونكل بهم ، وصودرت حرياتهم ، وأحرقت كتبهم ، بسبب ضيق الأفق والتعصب الأعمى .

### الكهانة الجديدة

هذا الصراع - النزاع - عرّفه علماء الاجتماع بأنه ( قانون تنازع البقاء ) . وبالفعل فقد عرفت جميع الديانات والحركات الفكرية هذا النوع من الصراع في شتى مراحل تاريخها . ولم يكن الإسلام في مراحل تطبيقه بمنحى عن هذا الصراع كما مر معنا سابقاً .

ونحن أشرنا إلى ذلك الصراع سريعا ، حتى لا يتحول كتابنا هذا إلى كتاب تاريخ طويل . وعلى الرغم من أن الدين الإسلامي قد حارب الكهانة ، ولم يعرف نظام الكهانة كما عرفت الديانات الأخرى ، كالمسيحية والوثنية المصرية القديمة . إلا أنه لم يلبث الدين الإسلامي إلا أن وقع بين برائثنها ولكن على نحو آخر . فقد نشأت الخلافة كنظام سماوي مقدس ثابت في الإسلام ، واكتسبت الخلافة رداءً دينياً . وقد تقاسم سلطة الخلافة رجال الدين التقليديين في المساجد والمحاكم وبين الناس . بينما بقى الحكماء يحكمون بفتاوى هؤلاء من قصورهم . راجع محمد العزب موسى، ( حرية الفكر ) ص ١٠٨ .

إلا أن ذهنية الكهانة ، والتعصب الأعمى لم ينتهيا بانتهاء دولتي بني أمية وبني العباس . فمزال الصراع موجوداً في كل زمان و مكان. تتغير الأسماء ولكن الصراع هو ذاته لا يتغير ولا يتبدل بمرور الأيام والسنين.

ويمكن أن نشير إلى ذهنية التعصب و التكفير التي يقابل بها الثوار والمصلحون والعلماء . إلا أن مقاومة ثورة الفكر تقابل بأسلحة التعصب من تهريج واتهام ، و تكفير ، ودسياسة ، الأمر الذي يحول تلك المعركة إلى معركة غير نزيهة وغير متكافئة . وهكذا قوبلت ثورة الشيخ احمد بن زين الدين الأحسائي كما أوضحنا في كتابنا (فيلسوفان ثائران) ص ٧- ١٠ .

### منهجية التعصب

إلا أن الصراع لم ينته ، بانتهاء زمن الشيخ الأحسائي أيضاً . ومنهجية التعصب الضيق ، وأدواته من تكفير ، ودسياسة ، وإتهام ، وتهريج هي أدوات المشروعة منذ ذلك اليوم وإلى اليوم .

ومجتمعاتنا الإسلامية – الشيعية – اليوم ليست بدعاً عن المجتمعات الأخرى وصراعاتها . فهناك صراع عنيف في الخفاء تارة وفي العلن تارة أخرى . يقوده قلة ممن تزيت بزيت رجال الدين . إلا أن هذه القلة والتي تثير الكثير من الضوضاء أحياناً ، تعمل لأجندة خاصة بها ، ومن أجل مصالح ضيقة ، رائدها التعصب وضيق الأفق . همها الأول تأجيج الصراع بين أبناء المذهب الواحد ، وبين أبناء الوطن الواحد . هذه القلة هي أشبه بخفافيش الظلام ، تنستر بشعار ( خدمة آل البيت ) وآل البيت منهم براء . تلك القلة ترمي بسهم هنا وسهم هناك ، وهي تردد في داخلها: ( أينما يصيب فتح ) .

وفي الخفاء تماماً مثل الخفافيش، تروج للفتاوى التحريضية، و تكتب وتنشر كتباً بأسماء مستعارة، للنيل من مراجع الشيعة العظام، وتسخر من علماء آل بيت محمد عليهم السلام. متخذة من الشتم، والسب، والتهريج، و الدسيسة منهجاً وأسلوباً بدلاً من مقارعة الحجة بالحجة، والدليل بالدليل. ودحض الفكرة بالفكرة.

تلك القلة الصغيرة التي تزيت بزيت رجال الدين، حاولت ولأجندة خاصة بها، إحداث شرخ في المجتمع الشيعي، بالكتابة الباهتة، أو باستغلال منابر المساجد حيناً، ومنابر الإمام الحسين عليه السلام حيناً آخر. يشككون في مرجعيات العلماء الكبار، وفي عقائد الشيعة. فتارة يشككون في مصداقية (زيارة عاشوراء) ومرة أخرى يرددون ان السيدة فاطمة الكلابية (أم البنين) عليها السلام امرأة عادية، ليس لها من الفضل والوجاهة عند الله من شيء. ويشهرون سلاح (وحدة المرجعية) في وجه المرجعيات الدينية العظمى بقصد الإساءة وإثارة العداوة والبغضاء في داخل البيت الشيعي.

وقد كان هم هؤلاء ضرب الوحدة الوطنية وخلق الصراعات بين مدارس الشيعة، يقول الشيخ حسن الصفار في كتاب الإمام علي و قضايا الأمة (كانت هناك صراعات مرجعية، فجماعة تتعصب لمرجع، وأخرى لمرجع آخر، ولا تجوز تقليد مرجع الجماعة الأخرى، لتأتي فتوى من هنا تؤيد مرجعاً، و يقابلها فتوى ضد ذلك المرجع، في حالة من الصراع الإحتراب الكلامي الاجتماعي) ص ١٨.

ولقد تجرأ أحد هؤلاء لكي يطل برأسه، ويصف شيخنا الجليل أحمد الأحسائي، بأنه شخصية مجهولة. ويكتب كاتب ثاني ان الشيخ احمد الأحسائي هو جاسوس قادم من اندونيسيا، ولا توجد قرية في الجزيرة العربية بإسم المطيرفي. ويأتي كاتب آخر ويصف المنتسبين لمدرسة آل البيت الحكمية التي أسسها الشيخ الأحسائي بأنهم من (الجماعات



التكفيرية) ويحرّض الدول لملاحقة هذه الجماعة والقضاء عليها وقتلها . ولا عجب في ذلك . فصاحب الكتاب يترحم على يزيد بن معاوية ، ويبرر له قتل آل بيت النبوة وصحابة النبي في واقعة الحرة بالمدينة المنورة . ولا يكتفي بتكفير جماعة مؤمنة تشهد بالشهادة الثالثة في كل صلاة ، بل نجده محرضاً على أبناء البيت الشيعي الواحد بالقتل محاولاً الإستقواء بالآخر على أبناء جماعة موالية لآل بيت النبوة ومعدن الرسالة . غير مكترثاً بالجرح العميق الذي سببه كتابه هذا طالما أنه قد استلم ثمناً لكتابه ما كتب .

بل أن الأدهى والأمر في كتاب هذا الكاتب المتزبي بزي رجال الدين، هو استهزائه بالأحاديث النبوية الشريفة ، و الأحاديث المروية عن أئمة آل البيت عليهم السلام ، و بالأخص الأحاديث المروية عن إمامنا الحجة عليه السلام ، في حق مراجعنا العظام ، محاولاً زرع الفتنة وتأجيج الحروب بين أبناء البيت الشيعي الواحد .

ولا حاجة لنا بالرد عليه ، فلا يوجد في هذا الكتاب ما يوجب الرد عليه . ولم نجد فيه إلا التعصب الأعمى ، وضيق الأفق، والتكفير لجماعة مؤمنة . كما أن الإستهزاء بأحاديث أئمتنا عليهم السلام، وتحريف كلام مراجعنا العظام ، والتبرير ليزيد بن معاوية و لقائده ، لقتل صحابة النبي بمعركة الحرة .. ليست أفكاراً قابلة للنقاش أو الرد.

لن ننخدع ونرد على هؤلاء ، و ننجر لصراع غير متكافئ ، لكننا قادرون على إدارة الصراع ، وقادرون على الرد في الوقت الذي نشاء، وبالكيفية التي نختارها نحن ، حفاظاً على وحدة الصف ، وحرصاً منا على أمن الوطن ، وعملاً و إقتداءً منا بالميرزا موسى الحائري أول المجتهدين العظام ، في إدارته للصراع .

و نقول لخفافيش الظلام ، أننا قادرون على السب والشتم ايضاً ، وقادرون على إثارة الفتن ، وتمزيق وحدة البيت الشيعي الواحد . لكننا

نترفع عن هذا الأسلوب المبتذل ، ونحتفظ بحقنا في الرد متى نشاء و  
بالكيفية التي نقررها إلا أننا نقدم أمن الوطن ومصالح الطائفة على  
مصالحنا الشخصية ونقدم وحدة البيت الشيعي ، ووحدة الأمة الإسلامية  
على مصالحنا الدنيوية الضيقة.

ولا ننسى الكلمات التي أطلقها الإمام الخميني الراحل قدس سره  
الشريف ( أيها المسلمون اتحدوا ) ونحن في البيت الشيعي أولى بالاتحاد  
مع بعضنا البعض ، من اتحادنا كمسلمين .

وقد جسّد هذا الشعار قولاً وعملاً مرجعنا الكبير السيد علي السيستاني ،  
تجاه ما يجري على الساحة العراقية اليوم ، بعد الإحتلال الأمريكي  
للعراق . ولولا وجوده المبارك وحكمته الراشدة ، لتحولت العراق إلى  
ساحة حرب أهلية حقيقية بين الطوائف الإسلامية .

ولا ننسى أيضاً تهج مرجعنا الراحل الميرزا حسن الحائري ،  
الإصلاحي الذي عرف به حقاً . حتى لقب ( بالإمام المصلح ) وكان من  
أحب الألقاب إليه .

## الترجمة والصراع

في ظل هذا الصراع الفكري و الذي عرضناه موجزاً ، نحاول استجلاء  
شخصية الميرزا موسى الحائري ، ونحاول إعادة قراءة ترجمته بشكل مغاير ،  
غير متناسين كيف لعب هذا الصراع في حجب العديد من جوانب سيرته المشرقة  
. إنه صراع عنيف بلا شك منذ أكثر من قرنين من الزمن ، حاولنا إختصاره  
عمدا فيما سبق . إلا أننا تناولناه مفصلاً في كتاباتنا السابقة ، ونكرته العديد من  
المصادر القديمة والحديثة لعل أهمها ( دليل المتحيرين ) للسيد كاظم الرشتي، و  
( الأحسائي في دائرة الضوء ) لمحمد علي اسبر ، وغيرها من المصادر .

وطالما كان الميرزا موسى الحائري ، أحد أهم وأبرز أعلام مدرسة آل البيت الحكيمة التي أسسها الشيخ الأوحى ، فمن الطبيعي ان يلقي هذا الصراع بأشكاله المختلفة على مصادر ترجمته . وتتدخل الأهواء الشخصية أحياناً في التحريف والتعتيم ، أو حتى التهريج أحياناً أخرى عند تناول ترجمة الحائري .

ولا عجب في ذلك، فهذا الصراع يظنه البعض ، صراعاً مشروعاً ، والبعض الآخر يعتبره صراعاً مفتوحاً ، تجوز فيه استخدام كل أسلحة التعصب من تهريج وتحريف . إلا أننا نعتبره صراعاً مفروضاً ، بين قوى التعصب وقوى التنوير بحكم قانون صراع البقاء .

ومن ركام كل ذلك الصراع ، نأمل أن نستجلي شخصية الميرزا موسى الحائري ، بكل أبعادها القيادية والفكرية والجهادية في دراسة نحن أحوج إليها في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى . داعين كاتبنا ومؤرخينا أن يعاودوا الكتابة في استجلاء شخصيات عمالقة الفكر الشيعي ، ودفعها إلى موقعها الطبيعي ، في صدارة الصف الأول الذي تستحقه بجدارة.

وتلك مهمة تحتاج إلى الكثير من الجهد والصبر والمثابرة. نعتقد أنهم قادرون عليها . بدلا من الاكتفاء بالنقل ، والتسليم بالمقدمات التاريخية ، والإذعان للنتائج . وحتى لا تتحول إصداراتنا الجديدة ، إلى مجموعة من الكتب المتعددة الأسماء ، وهي في الأصل ليست سوى كتاب وحيد ، قد أعيد نسخه وطبعة لمرات عديدة .

لذلك فنحن نحتاج إلى كتابة إنقلابية ، تعيد قراءة الموروث التاريخي بعين جديدة حتى نحصل في نهاية المطاف على كتابة مثيرة في بعد شمولها ودقة نتائجها .



## ثانياً: خطأ المترجمين

ليست من مهمة هذا الفصل تقويم مصادر التراجم ، و تدقيقها من الناحيتين المعلوماتية والموضوعية . فتلك مهمة شاقة نتركها للباحثين المتخصصين في علوم المكتبات ، كما أنه ليس من أهداف هذا الفصل الوقوف على أخطاء المترجمين ولا المترجمين لهم ، وإن تصدرت صفحات هذا الفصل عبارة ( خطأ المترجمين ) لأننا أطلقناها هنا على المجاز وليس على الحقيقة المطلقة .

إننا هنا وبكل بساطة لا نحاكم المترجمين ، ولكننا وبحكم ترجمتنا للميرزا موسى الحائري ، سنتوقف عند بعض الترجمات ، وبعض كتب التراجم ، التي نعتقد عدم حياديتها في نقل المعلومة وتوثيقها ، ونعلم مسبقاً أن قلة من هذه الكتب قد تعمدت التحيز ، طالما أن مؤلفيها كتبوا تراجمهم في ظل صراع فكري عنيف ، بينما وقع الكثير منها في هذا التحيز سهواً أو جهلاً .

إن الترجمة هي تاريخ مكتوب للزمان والمكان الخاصين بحياة أحد المشاهير ، لذلك فإن الزمان زمانه والمكان مكانه . لا يشاركه فيه أحد . ان كلمة Biography الإنجليزية تعني ( التاريخ المدون لحياة الأشخاص ) . كما جاء في قاموس وبستر الموضوعي ١٩٩٥ WNE D . ولهذا فهناك صلة وثيقة بين كتب التراجم والتاريخ ، سنتوقف عندها لاحقاً . إلا أننا يمكن ان نشير سريعاً إلى أن كلمة ( ترجمة ) تترادف مع كلمة ( سيرة ) أو ( تاريخ الحياة للأفراد ) كما عرفها (معجم المغني الأكبر) لحسن الكرمي ١٩٨٠ م . إلا ان كتب التراجم التي ترجمت للعلماء والفقهاء متعددة

الأنواع . فمنها التراجم الفردية المقتصرة على تقديم دراسة مكثفة لفيقه واحد . ومنها كتب السيرة الذاتية لهؤلاء الأعلام أنفسهم . إلا أن أشهر مصادر التراجم ، هي التراجم الجماعية والتي تكون عادة محدودة بأطر زمانية أو مكانية أو موضوعية . كما يوردها على الصوينع في (استرجاع التراجم ) ١٩٩٧ م .

لذلك فإن كتب التراجم تصنف في أدبيات علم المكتبات وفق مناهج شتى ، تبعاً لطبيعة الأعمال وبيئاتها ( إلا أن معظم أعمال التراجم تصب في أطر مكانية ، أو زمنية أو موضوعية أو شكلية ، و بالنظر إلى السمات العامة لمصادر التراجم السعودية نجد أن هناك احتمالات كثيرة لتقسيم كتب التراجم عند النظر إليها من زوايا مختلفة ، وذلك بما يشمل كتب التراجم الجماعية والتراجم الفردية والتراجم العامة والتراجم الوطنية والتراجم المختلطة والتراجم المتخصصة وغير ذلك من الأنواع الممكنة ، كما قد يتفرع من كل نوع فئات أخرى تحددها أطر موضوعية أو شكلية أو زمنية ) الصوينع ، مصادر التراجم ١٩٩٧ م ، وما ينطبق على تراجمنا المحلية ينطبق تماماً على مصادر الترجمات العربية بأسرها .

وكما تتشابه مصادر التراجم المحلية ، مع نظيرتها في المكتبة العربية من حيث تقسيماتها ، فإنهما تتشابهان في سماتها العامة أيضاً . ولعل أبرز تلك السمات المشتركة ، والتي يشير إليها الصوينع في ( مصادر التراجم ) ١٩٩٧ م ، إن الكثير من أعمال التراجم الفردية يمكن تسميتها بالتراجم الاحتفالية ، حيث تمتاز بإغداق المديح والتركيز على الإنجازات بشكل مبالغ فيه . كما إن أعمال التراجم الفردية ترتبط بعوامل شخصية تجعل المؤلفين ينتقون تراجم محددة ، وينحازون إلى الأشخاص موضوع التراجم ، لا سيما إذا كان من الأقرباء والمعارف . وبعد كل ذلك فإن مصادر التراجم تعتمد على الجهود الفردية و المبادرات الذاتية من المؤرخين و المهتمين بهذا النوع من التأليف، لهذا تأتي بعض أعمال التراجم ناقصة من جوانب عديدة، ص ٣٢ .

## غياب الموازين العلمية

و في ظل التعصب الفكري ، و بسبب غياب الموازين العلمية لفن الترجمة، فإن الكثير من تلك التراجم الفردية بقيت بعيدة عن أرفف الجامعات ، وبعيدة عن التناول الأكاديمي ، لغياب منهجية البحث العلمي في رصدها لتراجم الرجال . و بقيت كتب التراجم ، و المعتمدة على الجهود الفردية ، تكرر بعضها ، مع بعض الزيادة والنقص ، وكأنها تكرر دور الشيخ علي البلادي صاحب (أنوار البدرين) في طريقة العرض والأسلوب والتناول .

بل إن بعض هذه المحاولات ، نشتم منها رائحة القبليّة والطائفية و العرقية الذميمة . ولذلك نحن بحاجة إلى تجارب جادة ، وناضجة ، بعيدة عن كل الحواجز التي تفتت شمل الأمة الإسلامية ، و تهدد روح المواطنة . بل إن بعض كتب التراجم الحديثة خلطت بين القاب شتى مثل العالم و الشيخ والخطيب و طالب العلم . و خلطت بين مفهومي الأديب والمؤلف ، ولم تستطع التفريق بين الكاتب والباحث ، و أهمل معظمها عن قصد تراجم النساء ، فلم تحظى مكتبتنا المحلية بكتاب للتراجم في مثل شهرة ( الأعلام ) للزركلي ولا بمثل منهجيته ولا في طريقة عرضه و تناوله المميز . رغم إختلافنا حول موضوعيته أيضاً .

ومن بين أصحاب تلك المحاولات لتراجم أعلام منطقتنا من ترك صفحات كتابه حقاً مشاعاً لبعض الأخلاء والصفوة من الأصدقاء . ينشر صورهم ، وصور أبنائهم وأحفادهم بل ورسائلهم الخاصة أيضاً . ويكتب عنهم ثم يستترك - في أجزاء كتابه الأخرى - لينشر أسماء زوجاتهم ، وشيئاً من نتاجهم الشعري الهزيل ، وبذلك تجد أكثر من ترجمة لشخص واحد في جميع الأجزاء وفي جميع الطبعات . ورغم تلك الترجمات المكثفة لأسماء هؤلاء فلن تجد المحصلة العلمية - في الغالب الأعم - إلا العمامة والعباءة فقط .

ولهذه الأسباب يؤكد علي الصوينع في مصادره ١٩٩٧م أن معظم كتب التراجم ارتبطت بالزمان والمكان – كما أسلفنا – ولم تستطع الخروج من هاتين الدائرتين . وعلى الرغم من ذلك فإن كتب التراجم تفضل أن تحفل بأسماء معروفة لها وزنها الفكري والعلمي ، فتحشرها بين طيات تراجماتها أحيانا متناسية موازينها العلمية التي ألزمت نفسها بها .

أما البعض من المترجمين ، فقد ترجم لأعلامنا فوضعهم في صناديق مغلقة من الطوائف والفرق الوهمية ، وكان تقسيم هويتنا الإمامية إلى تلك الفرق الصغيرة ، والمبعثرة هنا وهناك ، عملاً يقربهم إلى الله سبحانه وتعالى ، بل وكان ترديد بعض مقولات من سبقهم في الكتابة ، هو في حد ذاته واقعاً تاريخياً ، لا يمكن القفز عليه ولا يمكن تجاوزه ، وعملاً منهجياً يصعب العدول عنه .

و بعد كل ذلك لا نريد أن يفهم من كلامنا ، أننا لا نجد أي قيمة علمية لكتب التراجم تلك . بل أن بعضها لها قيمتها العلمية ، وإضافتها للمكتبة العربية واردة ، ولا تحتاج إلى شهادتنا . إلا أننا أردنا الإشارة إلى أن تلك المحاولات الفردية لتراجم أعلام الشيعة تلازمها بطبيعة صناعتها العديد من الأخطاء الفنية.

كما أن محاولتنا هذه في الترجمة لميرزا موسى الحائري ، لا يمكن الإدعاء بأنها خالية من العيوب والأخطاء الفنية ، لأنها هي الأخرى ليست سوى محاولة فردية . إلا أنها قطعاً ليست ترجمة جماعية لعدد من الأعلام ، وليست ترجمة تقليدية حتى يمكنها أن تسلم من تلك العيوب الشائعة . إن هذه الترجمة تحاول لتكون مقدمة لدراسة تاريخية جادة لإعادة قراءة حياة الميرزا الحائري .



وأما الهدف من إشارتنا لهذه المؤلفات، والتوقف عندها ، فهو ذو صلة وثيقة بهذه الدراسة، حيث أهملت جل المؤلفات لترجمة أو حتى الإشارة للميرزا الحائري. وتعمد البعض منها تهميش أعلام مدرسة آل البيت الحكيمة التي قادها الشيخ احمد بن زين الدين الأحسائي .

### وقفة مع التراجم :

أشرنا قبل قليل إلى السمات العامة لمصادر التراجم المحلية ، والتي تنطبق أيضاً على مصادر تراجم أعلام الشيعة ، مثل إعتمادها على الجهود الفردية ، و انحياز المترجمين لأشخاص المترجمين لهم لاسيما إذا كانوا من الأقرباء والمعاصرين والمعارف . لذلك غلبت التراجم الإحتفالية التي تمتاز بإغداق المديح والإطراء . هذا من الجانب الموضوعي . أما من الجانب الشكلي لهذه التراجم فقد إتخذت كتب التراجم الجماعية مناهجاً بحثية متعددة . وجاء كل مصنف منها بتنظيم وترتيب خاص به لسرد تراجم الأعلام . فمنهم من إتبع الترتيب الألفبائي حسب الإسم الأخير أو اسم العائلة أو الشهرة . والبعض من مصادر التراجم إتبع الترتيب طبقاً للاسم الأول . سواء كان الترتيب الألفبائي صارماً أم لا . ومنها من أتبع الترتيب الزمني لاستعراض تراجم الأعلام بما يوافق تاريخ الميلاد أو الوفاة . حيث يتم ذكر التراجم ضمن حوادث السنوات المتسلسلة ، ويشير الصوينع في (مصادر التراجم ) ص ٣٧ ، إلى أن قلة من مصادر التراجم لم تلتزم بمنهج بحثي محدد في ترتيب الأعلام . حيث نثرت التراجم بشكل عشوائي كيفما إتفق . وفي كثير من الأحيان ترتب التراجم طبقاً للمهن وفئات الأعلام .

ونحن معنيين هنا بكتب التراجم الشيعية ، ولسنا معنيين بالمترجمين لهم كما قد يتوهم البعض من خلال السياق ، كما أننا لسنا معنيين برصد كل مصادر التراجم المحلية والعربية ، فهذا خارج عن إطار هذه الدراسة . إلا أننا سوف نشير إلى كتب التراجم العربية و الشيعة ذات العلاقة بهذه

الدراسة ، والتي أشرنا قبل قليل إلى سماتها من الناحيتين الموضوعية والشكلية ، مع وقفة سريعة لأهم مصادر التراجم العربية المعروفة ومناقشتها ، و صلتها بترجمة الميرزا الحائري وأعلام مدرسة آل البيت الحكيمة .

## التراجم الخارجية:

### أ- جناية الأعيان

لعل من أشهر كتب التراجم الجماعية ، وأوسعها إنتشاراً ( أعيان الشيعة ) للسيد محسن الأمين العاملي . وقد قيل في الأعيان ( انه لم يؤرخ لأعيان طائفة إسلامية بعينها أكثر من كونه دائرة معارف كبرى للتاريخ الإسلامي ، تستغرق مئات الشخصيات على إمتداد مئات السنين ) الأعيان ص ١-٢ .

أما السيد الأمين ، فهو علم عال من أعلام الفكر الشيعي ، وعلامة بارزة في تاريخ جبل عامل وحضارته ، وآثاره موسوعة علمية وفكرية وحضارية ، شاملة كل أبعاد المعرفة الإنسانية .

إلا أننا لنا وقفات موضوعية عن تراجمه في الأعيان ، لها صلة بدراستنا هذه . ولعل أولى وقفاتنا أن الأعيان لم يترجم للميرزا موسى الحائري ، رغم آلاف الترجمات التي ضمها دفتيه ، ولا يمكن القول أن السيد العاملي قد إختط منهجاً بحثياً معيناً في أعيانه ، قد أخرج منه ترجمة الميرزا موسى الحائري . فهذا المنهج لا وجود له . ولا يمكن الذهاب إلى أن السيد العاملي قد إلتزم ألا يترجم إلا للأعلام المعاصرين الأحياء مثلاً . لان وفاة الميرزا الحائري عام ١٩٤٤ م بينما توفي السيد العاملي بعده بأكثر من سبع سنوات أي عام ١٩٥٢ م . وحتى لو قيل ان الفترة بين وفاتيهما غير كافية لترجمته في الأعيان ، فان ابنه لم يستدركه في

مستدركاته كما هي حال العشرات من الترجمات الأخرى المستدركة، التي ألحقها بالأعيان عقب وفاة والده .

و ( أعيان الشيعة ) الذي لم تتسع الآلاف من صفحاته لترجمة الميرزا الحائري ترجم للعشرات من علماء جبل عامل ، وقد أحصينا مائة واثنين و سبعين شخصية عاملية ترجم لها الأعيان في مجلداته الضخمة .

ولم يكتف صاحب الأعيان بترجمة أعلام الشيعة ، بل ترجم لكل من ظن أو سمع أنهم ( متشيعون ) من أمثال الشيخ ركن الدين علاء الدولة ( ٨٧ / ٣ الأعيان ) و أبو علي أحمد الأصبهاني ( ٩٤ / ٣ الأعيان ) ، وغيرهما العديد من الشخصيات التي ترجم لها على أنها من أعلام الشيعة .

بل وترجم صاحب الأعيان لكل من ظنه شيعياً من جبابرة وملوك وسلاطين ظلمة. من أمثال تيمورلنك حفيد جنكيز خان . وخصص لتيمورلنك أكثر من عشرين صفحة من القطع الكبير ( المجلد الثالث ٦٤٨ - ٦٧١ ) مع إقراره أن تيمورلنك قائد ظالم (نحن لا نقول إن تيمورلنك لم يكن ظالماً ، فهو طاغية كغيره من الظلمة المتغلبين) (الأعيان ، ٦٤٩ / ٣ ) . وترجم الأعيان لكل أحوال تيمورلنك مبتدءاً بنسبه، وتاريخ أجداده وسفرائه وغزواته وما جرى له بإسهاب ممل ، ومصدراً كل فقرة من فقرات ترجمته ب ( قال وقيل ) معتمداً على نقل طويل من شذرات الذهب لعبد الحي الحنبلي ، وعجائب المقدور لأحمد الدمشقي ( ابن عرشاه ) أو البدر الطالع لمحمد الشوكاني مع تعليق قصير هنا وإضافة هناك . واصفاً بدقة جبروت تيمورلنك و سفكه للدماء وقتله للأبرياء وحرثة للزرع .

وللقارئ أن يلاحظ أن ترجمة تيمورلنك الطاغية في الأعيان أطول من ترجمة الإمام الحسين عليه السلام .

وإذا لم يترجم السيد العاملي للميرزا موسى الحائري تجاهلاً ، وهو من أبرز علماء الشيعة في عصر صاحب الأعيان لأنه من علماء مدرسة آل البيت الحكيمة . فإن السيد العاملي ترجم ترجمات مبتسرة وسريعة لبعض أعلام هذه المدرسة من أمثال ترجمته للشيخ محمد بن عبد علي بن محمد آل عبد الجبار القطيفي ٣٨١ / ٩ وكذلك ترجمته لحجة الإسلام محمد الممقاني ٤٥/١٠ ولم ترد ترجمة كل واحد منهما أطول من سطرين . وما ترجماته القليلة الأخرى مثل ترجماته للشيخ عبد علي القطيفي ، و الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي والتي يدرك صاحب الأعيان أنهم من مدرسة آل البيت الحكيمة ، فقد جاءت غير منصفة، ينقل ترجمتهم عن عدد من المصادر مثل أنوار البدرين للشيخ علي البلادي . وبدلاً من إلتزام أمانة النقل يضيف إلى كلام المصدر ما يراه ، وبدلاً من إلتزام الألقاب التي تخص المترجم له ، يكتب إسمه مجرداً من ألقابه . وبدلاً من أن يكتب ( توفي ) يكتب بدلاً منها ( مات ) . و بدلاً من أن يشير إلى مجيزيه و أساتذته يقول ( مجاز من شيخه ) وهكذا .

و ترجم السيد العاملي رحمه الله لإبني الشيخ الأوحده ، الشيخ محمد تقي و الشيخ علي نقي الأحسائيين ، ترجمتين قصيرتين لا تتعدى النصف صفحة لكل منهما أما الشيخ علي نقي فقد جرّده من كل ألقابه مكتفياً بوصفه أنه مؤسس فرقة الشيخية ، وتزعم هذه الفرقة بعد أبيه ، وله إجازة مع أخيه الأكبر محمد تقي من أبيهما الشيخ أحمد الأحسائي عام ١٢٣٦ . وعدد بعضاً من مؤلفاته . المستدركات ١٣٨ / ٢ .

أما ترجمة الشيخ محمد تقي وهو الأكبر وقد توفي قبل أبيه ، فقد أشار صاحب الأعيان إلى أنه من ( علماء الأصوليين وكبار الفقهاء وأهل الفضل ) ولا غرابة في هذا المديح ، لأن السر يكمن فيما كرره السيد العاملي لأربع مرات في ترجمة الشيخ محمد تقي القصيرة من انه ( ينكر على أبيه أشد الإنكار ) .

أما حكاية الإنكار التي ردها صاحب الأعيان مراراً في ترجمته للشيخ محمد تقي ، فلا ندري متى وقعت ! وكيف ؟

ويكفي قطعية إختلاقها ما كتبه صاحب الأعيان من أن لمحمد تقي إجازة من أبيه عام ١٢٣٦ هجري أثنى فيها على ابنه الفاضلين ، وهي في أواخر حياة الأب . وطالما ان الشيخ أحمد توفي عام ١٢٤١ هجري وتوفي الشيخ محمد تقي قبل وفاة والده . فمتى كان الإنكار على والده ؟ علما أن الشيخ الأوحدي في سيرته لابنه الشيخ محمد تقي قد أثنى على الولد ثناء كبيراً . راجع كتابنا ( آخر الفلاسفة ) ص ٣٩ .

أما ترجمته لعميد مدرسة آل البيت الحكيمة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي فلم يتمكن صاحب الأعيان من تجاهلها ، ولكنها جاءت مليئة بالأخطاء و التصحيف و التحريف ) . ٥٨٩ / ٢ .

وأول ما تطالعنا في هذه الترجمة نسبته إلى قبيلة ( المطيري ) أو (المطيرفي) ولا يدري السيد العاملي أيهما اصح!

ويعود مترجما له بأنه مؤسس ( مذهب الكشفية ) رغم أنه وصفه في ترجمة ابنه ، بأنه مؤسس ( فرقة الشيخية ) . ولا يستطيع السيد العاملي أن يفرق بين المذهب والفرقة ، ورغم أن المذهب غير الفرقة إلا أن صاحب الأعيان لم يجانبه الصواب في كليهما .

أما إذا أراد السيد العاملي أن يوضح ( طريقة الكشفية ) وعقائدهم ، جاء بما كتبه الواعظ الهمداني في رسالته ( هدية النملة إلى رئيس الملة ) بكل ما فيها من افتراء صريح على جماعة مؤمنة من الشيعة الإمامية ، التي أخذت أصول عقائدها وفقهها من شريعة محمد وآل بيته عليهم السلام .

وعندما أراد أن يذكر شيئاً من أحوال الشيخ الأحسائي على لسان تلميذه السيد الرشتي ، خلط السيد العاملي ( الحابل بالنابل ) . أما منهجية صاحب الأعيان في النقل و التوثيق ، فهي الإبتداء بكلمة ( ما حاصله ) بدلاً من نقل نص الكلام حرفياً ومقوساً كما هي منهجية العلماء . إذ إكتفى صاحب الأعيان الفاضل بمنهجية ( إدعى ما حاصله ) التي كررها مرارا ، وكأنها منهج بحث علمي صارم .

وحيثما أراد السيد الفاضل صاحب الأعيان ان ينقل بعضا من ترجمة صاحب ( روضات الجنات ) للشيخ أحمد الأحسائي . وهاله المديح والثناء التي أسبغها على الشيخ في ترجمته ، قال صاحب الأعيان ساخرا عند نقل عبارات روضات الجنات في الشيخ الأوحده ( ولا بأس بنقل شيء منها تفكها وعبرة ) ! .

ويصل صاحب روضات الجنات إلى إنكار الشيخ الأوحده على طريقة محسن الفيض في العرفان ، بحيث ينسب إليه تكفيره . فيعلق السيد العاملي ( وهذا موضع المثل . القدر عير المغرفة فقال يا سوداء يا مغرفة ) . أي أن كلاهما كافران و يكفران بعضهما البعض .

وينقل صاحب الأعيان عن كتاب ( الروضة البهية ) للسيد شفيح الموسوي ترجمة للشيخ الأحسائي . إلا أن كل عباراتها ( أظن ) و ( لا أظن ) و ( سمعت ) و ( يحكي ) وكذلك ( المنقول ) حتى أنه يصل إلى نهاية الترجمة فيقرر أن ( الطائفة الشيعية في هذا الزمان معروفة ولهم مذاهب فاسدة ، وأكثر الفساد نشأ من أحد تلاميذه السيد كاظم الرشتي ، والمنقول عن هذا السيد مذاهب فاسدة لا أظن الشيخ يقول بها ) وهذا هو المضحك المبكي ان السيد الموسوي يبرم وينقض في آن واحد.

ولا ندري بعد كل هذا هل ( الشيخية ) عند السيد العاملي طائفة لها مذاهب شتى ؟ أم فرقة مكونة من مجموعة من الطوائف ؟ أم أنها مذهب غير مذهب الإمامية ؟

ولا يتسع المقام للإطالة هنا ، و بيان كل أخطاء ترجمة الشيخ الأحساني التي وقع فيها السيد الفاضل صاحب الأعيان . وقد سبق للميرزا علي الحائري أن تناول تلك الترجمة ، ورد عليها بصورة مفصلة منذ عام ١٣٧٦ هجري عند ترجمته لأحوال الشيخ علي نقي الأحساني ، ونشرها ملخصة في آخر كتاب عقيدة الشيعة ص (٦٧-١٤٣) .

و بنقل كلمة الميرزا علي الحائري : ( إن كان الفاضل العاملي سلمه الله تعالى يعتمد في تأريخه على مثل الأغا رضا الهمداني فعلى التاريخ السلام ) نكون قد وصلنا إلى نهاية المطاف . وبذلك يكون ( أعيان الشيعة ) واحد من أهم مصادر كتب التراجم الشيعية ، التي أهملت بقصد أو من غير قصد ترجمة الميرزا موسى الحائري . واستمر إقصاء ترجمة الميرزا موسى الحائري ، في كل طبعات الأعيان المتكررة ، حتى توفي صاحبه رحمه الله ، وعمل ابنه السيد حسن الأمين على استدراك الترجمات التي سقطت عمداً أو سهواً ، إلا أنها لم تخرج للنور حتى توفي الابن أيضاً رحمه الله . و أخرج الناشر ( دار التعارف للمطبوعات ) مجلده الحادي عشر من المستدركات عام ٢٠٠٦ م وبها ترجمة مختصرة للميرزا موسى الحائري ، مجردة من جميع الألقاب التي دأب صاحب الأعيان وابنه إصباغها على شخصيات أعيانه بل ولم تسلم من الأخطاء المطبعية أيضاً .

ب - مشاهير (رجال الفكر)

وهناك مصدر آخر من مصادر التراجم الشيعية (معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام) للدكتور محمد هادي الأميني الذي طبع لأكثر من مرة في أجزاء ثلاثة منذ عام (١٣٨٤-١٩٦٤) واحتوى المعجم على ٢٠٩٦ ترجمة من علماء وأدباء ومفكري الشيعة الذين إستوطنوا النجف الأشرف ، ولم نجد ترجمة للميرزا الحائري ، رغم أنه إستوطن النجف لأكثر من خمس سنوات ، وحضر بحوث علمائها ، ونال إجازاته من أعلام النجف و مراجعها الكبار .

و أعاد الدكتور الأميني طبع المعجم طبعة ثانية بعد ثلاثين سنة عام (١٤١٢-١٩٩٢) ووصلت عدد ترجماته إلى أكثر من خمسة آلاف ترجمة ، بخصائص تنفرد بها طبعته تلك عن الطبعة الأولى . وإذا تصفحنا معجم الأميني بأجزائه الثلاثة ، نجد أنه ترجم لبعض أعلام هذه المدرسة جهلا بانتماؤاتهم ، كما تدل ترجمته لهم .

و نتوقف عند ترجمتين فقط لأعلام مدرسة آل البيت الحكمية بزعامة الشيخ الأوحى . وهما ترجمتين قصيرتين من بضعة أسطر لحجة الإسلام المامقاني وابنه ، يصفهما أنهما ( دراويش ) ! . و يلقب الشيخ محمد حجة الإسلام المامقاني زعيم أسرة المامقاني الشهيرة في تبريز بانه (ملا) وأخطأ في نسبه .

وخالف الدكتور الأميني منهجه ، الذي ألزم نفسه به في المعجم . حيث أشار في المقدمة بأن لا يترجم إلا لمن إستقام في النجف الأشرف لخمس سنوات وأكثر ، إلا أن الدكتور الأميني لم يستطع إقناع قراء معجمه ، بأن كل ترجمات أعلام المعجم هم ممن توطنوا بالنجف لأكثر من خمس سنوات .



وألزم الأميني نفسه بأن يذكر إسم المترجم له و شهرته و ولادته ( بدون تعظيم أو تطليل أو تضخيم ) إلا أن أغلب بل إن كل ترجمات أعلامه ذكر أسماءهم ، يسبقها التعظيم و التضخيم . نعم إنترجم بهذا المنهج في ترجمته القصيرة للشيخ أحمد الأحساني . ولم يرغب بذكر ما قيل فيه ، إلا أنه أصدر حكمه الصارم على الشيخ بكلمتين ( و تضاربت الآراء فيه ، ولسنا بحاجة إلى ذكرها بعد أن قوبل بالرد و النقد ) ج ١ ص ٨٩ ، وليت الدكتور الأميني ، مارس دوره كمترجم محايد دون إصدار الأحكام ، بل ليت الدكتور أورد نسب الشيخ أحمد الأحساني صحيحاً ، منقولاً حرفياً من المصادر العديدة التي إطلع عليها . وليته أيضاً أورد مكان مولده صحيحاً . إلا أن كل ذلك لم يحدث .

وألزم الأميني نفسه بأن يترجم للمشهورين و الأعلام ، ولكنه ترجم لأشخاص غير مشهورين ، و ليسوا من الأعلام . ، فمنهجه في الترجمة أن يبدأ باللقب ، ثم يورد أسماء أعلام المنتسبين لهذه العائلة . و لكن راجع ترجمة عبد الرسول الذي أثنى عليه ثناءً كبيراً عندما أورد لقب ( التبريزي ) وقال أنه من المشاهير ، ولكننا لا نعلم من هو عبد الرسول . ج ١ ص ٢٨٩ . وكذلك ترجمة عبد الحسن الكرعاوي ج ٣ ص ١١٠٨ . وغيرهما ممن إدعى الدكتور الأميني أنهم من المشاهير .

و هناك العديد من تراجم رجال الفكر و الأدب ، التي لا يشير فيها الأميني إلا للإسم الأول فقط ، ولا يشير إلى مصادر ترجمتها و لا لنتائجها الفكري ، مع الكثير من عبارات المديح و التعظيم . ففي ترجمة محمد بحر ( عالم فاضل أديب شاعر جليل ، نظم فأبدع و أجاد في جميع أغراض الشعر و فنونه ) و يضيف الأميني ( و يحتفظ بشعره و لا يرغب في الظهور و الشهرة ) و لا يورد المترجم عناوين مؤلفاته و لا يذكر مصدر ترجمته . ج ١ ص ٢٠٣ .

ولم نجد ضمن آلاف ( المشاهير ) التي ترجم لها الأميني ترجمة للميرزا موسى الحائري ولا لأبنائه ، ولا لأعلام مدرسة آل البيت الحكيمة الذين عرفوا أو عرف الأميني انتماءهم لها ، ممن أمضوا سنوات طويلة في النجف الأشرف تلامذة وأساتذة وباحثين ومحققين . ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أن الأميني الذي إعتد على عديد من المصادر ، كان من أهم مصادره ( أعيان الشيعة ) للسيد العاملي . وكذلك على ( أحسن الوديعه ) للسيد الأصفهاني .

### ج- مجتهدي الأصفهاني

و في ( أحسن الوديعه في تراجم أشهر مجتهدي الشيعة ) للسيد محمد مهدي الموسوي الأصفهاني الكاظمي الخونساري ، وهو أحد مصادر تراجم الشيعة الهامة لم يترجم لأحد من أعلام الشيعة ومجتهديها ، ممن عرفوا بانتمائهم لمدرسة آل البيت الحكيمة ، أو تتلمذهم على يد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ، سواء كان ذلك في طبعته الأولى أو الثانية. ولقد ترجم في الجزء الأول ل ( ٦٤ ) مجتهداً وفي الجزء الثاني وصلت عدد ترجماته إلى ( ٤١ ) مجتهداً من مجتهدي الشيعة . وختم الجزء الثاني بسرد لعدد من مراكز العلم للشيعة ومزاراتها .

ولذلك عند مرور الأصفهاني بمدينة الاحساء ضمن مراكز العلم الشيعية قال ( إلا أن غالبهم من الطبقة المعروفة بالشيخية ، أتباع الشيخ احمد الأحسائي . نسأل الله أن يهديهم إلى ما ذهب إليه علماء الأصول من الطريق الواضح ) ج ٢ ص ١٠٦ . ولا ندري حتى الآن هل الشيخية مذهباً أم طائفة كما أشار صاحب الأعيان ! أم أنها طبقة كما أشار الأصفهاني. أم أنها لا شيء من كل ذلك ، بل إنها وسيلة من وسائل التنابز بالألقاب ، قد نهانا طريقنا الواضح عنها.

لكن الظاهر أن السيد الأصفهاني رحمه الله ، لا يعرف أن أتباع مدرسة آل البيت الحكيمة ، هم أصوليين في عقائدهم وفي فقههم . أم أنه يعرف ولكن أراد التشنيع على تلك المدرسة الإمامية و السخرية منها.

ويترجم السيد الأصفهاني الخونساري للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ، من خلال ترجمته لمركز الأحساء الديني . ويكرر أقوال المشنعين على الشيخ الأحسائي دون تدقيق أو تمحيص . وليته رجع إلى ما كتبه عمه العلامة محمد باقر الخونساري في ( روضات الجنات ) عن الأحسائي بدلاً من إستشهاده بالإضافات التي وضعت في هوامش الجنات .

إلا أن السيد الأصفهاني في ( أحسن الوديعه ) يستشهد و ينقل عن كتاب (قصص العلماء) للتكنباني الذي يصفه الكتاب بـ ( فضائح العلماء )، ولا يوثقه أحد، ولا يعد مصدراً موثقاً به. وبالمقابل يترجم لمحمد سليمان التكنباني صاحب ( قصص العلماء ) في أحسن الوديعه ويثني عليه ثناء غريباً ، ويكتب عن كتابه هذا (كتاب لطيف قد أحيأ مآثر جمع كثير من أساطين الدين وجم غفير من الفقهاء والمجتهدين وقد أكثرنا النقل عنه) ج ١ ص ١١٥. وإذا اعترف الأصفهاني بالإكثار من نقله عن كتاب قصص العلماء الذي اختص بالتشهير بالعلماء ، فإن مصداقية(أحسن الوديعه) كمصداقية من أكثر من النقل منه .

وعندما حشد السيد الأصفهاني رحمه الله كل أدواته في التقليل من مكانه الشيخ الأحسائي ، اختلق قصة هجره الشيخ احمد الأحسائي للمدينة وموته هناك ، بعد ان كفره علماء الشيعة ، وعدول الناس عنه . لم يكتف السيد الأصفهاني بإختلاق تلك القصة ، بل حرف و أنقص عندما أراد أن ينقل أبياتاً من الشعر تؤرخ لوفاة الشيخ الأحسائي. ولم يشأ أن يذكر اسم العالم الجليل عباس القمي صاحب ( مفاتيح الجنان )، قال الأصفهاني : (حكى أحدهم أنه رأى مكتوباً على قبره

لزين الدين أحمد نور علم تضيئ به الدياجي المدلهمه  
يريد ( العالمون ) ليظفئوه ويأبى الله إلا أن يتمه

فأبدل كلمه (الحاسدون ) التي هي في أصل بيتي الشعر إلى كلمة  
(العالمون ). فهل يستقيم المعنى أيها السيد الفاضل! .

بل أن السيد الأصفهاني و نقلا عن قصص العلماء ، إجتهد في تكفير  
الشيخ الأحسائي ، بسررد أسماء عدداً من مراجع الشيعة الكبار الذين  
كفروا الشيخ الأحسائي! .

وبعد أن أفرغ السيد الأصفهاني ما في جعبته عن الشيخ الأحسائي ،  
انتقل إلى تلميذه السيد كاظم الرشتي . فقال عنه (صاحب المؤلفات الكثيرة  
التي لم يفهم أحد ما يقول وكأنه يتكلم الهندية) ج ٢ ص ١٠٨ . وكفروه . ثم  
حشر إسم كريم خان الكرمانى وسخر منه، وأضاف إليهما اسم محمد علي  
الباب ، وقال الأصفهاني إن كل منهم كفر الآخر! ج ٢ ص (١٠٦-١٠٨) .  
أهكذا تكون تراجم الرجال أيها السيد الفاضل؟

وبالرغم من مشاهير المجتهدين الشيعة ، إلا أن صاحب (أحسن  
الوديعة) خص بالترجمة كل من شنع على الشيخ أحمد الأحسائي أو من  
تهجم وسخر من مدرسة آل البيت الحكمية من أمثال ملا محمد تقي  
البرغانى ومحمد سليمان التكنباني وغيرهما، ممن لم تكن لهما شهرة  
علمية إلا تكفيرهما الشيخ أحمد الأحسائي . راجع أحسن الوديعة ج ١ ص  
(٥٠ ، و ص ١١٤) .

وبالرغم من مشاهير المجتهدين الشيعة ، إلا أن السيد الأصفهاني  
خص بالترجمة آبائه ، وأعمامه ، و أبناء عمومته ، و أبناء منطقتة . ولو  
أن الكتاب خصص للترجمات الأسرية لما إعترضنا على ذلك .

ويمكن للقارئ أن يرجع للترجمات التي خص بها علماء أسرته وعلماء منطقتة من أمثال:

- ١- ملا عبد الرحيم بن علي النجف آبادي الأصفهاني ، ج ١ ص ٦٩ .
- ٢- سيد أسد الله سيد محمد الأصفهاني . ، ج ١ ص ٨٣ .
- ٣- ميرزا محمد باقر بن زين العابدين الخونساري الأصفهاني ، ج ١ ص ١١٩ .
- ٤- السيد محمد كاظم بن عبد العظيم الأصفهاني ، ج ١ ص ١٦٥ .
- ٥- ميرزا محمد مهدي بن محمد باقر الخونساري الأصفهاني ، ج ١ ص ١٧٩ .
- ٦- الشيخ فتح الله بن محمد جواد الأصفهاني ، ج ١ ص ١٨٣ .
- ٧- السيد أبو تراب الخونساري الأصفهاني ، ج ٢ ص ٧ .
- ٨- السيد أبو القاسم الخونساري الأصفهاني ، ج ٢ ص ٣٢ .
- ٩- ملا محمد علي الخونساري الأصفهاني ، ج ٢ ص ٤٣ .
- ١٠- السيد محمد إبراهيم الأصفهاني ( عم المؤلف ) ج ٢ ص ٥٢ .
- ١١- السيد أبو حسن الأصفهاني ، ج ٢ ص ٧٠ .

وغيرهم الكثير ممن ترجم لهم ، وترجم لنفسه ، و لأقربائه في أكثر من موضع وفي أكثر من ترجمة في كتابه ( أحسن الوديعه ) . بل ويردد السيد الأصفهاني ( يجتمع نسبنا مع نسبه فيا له من نسب ما أشرفه ومن حسب ما أكرمه ) ج ٢ ص ٧ .

ويقول مرة أخرى : ( وحق لنا أن نتمثل بقول الفرزدق : أولئك آباي فجنني بمثلهم ، إذا جمعتنا يا جرير المجامع ) ج ٢ ص ٧ . ويعود ليكرر : ( فنعم السلف ونعم الخلق وهذا نسبنا عريق بالفضل و النجابه والرياسة والسياسة والكياسة ... ) الى آخر سجعه رحمه الله . ج ٢ ص ٨ .

ولا بد من الإشارة إلى أنه ترجم لهؤلاء وترجم لأبنائهم وأحفادهم في ( أحسن الوديعه ) بصفحات طوال ، رغم أنه قد سبق له ترجمتهم جميعا في

كتابه ( مواهب الباري ) كما يشير السيد الأصفهاني في كل ترجمة من ترجمات هؤلاء الأفاضل .

أما إغداق عبارات المديح و التبجيل و التعظيم و التفضيم في مقدمة كل ترجمة فشيئاً مريبك ومحير للقارئ . فقد تصل عبارات المديح والإطراء تلك إلى بضعة أسطر ، ومع معظم تراجم الكتاب ، الأمر الذي يفقد التراجم موضوعيتها ومصداقيتها في إنحيازها بسبب العرق أو النسب أو السكن .

وإذا حذفنا كل تراجم علماء خونسار و أصفهان والكاظم ، و أساتذته المؤلف ، لم نجد في نهاية المطاف إلا قلة من مجتهدى الشيعة الذين ترجم لهم في ( أحسن الوديعه ) لا يصل عددهم إلى أكثر من عدد أصابع اليدين . وخاصة إذا علمنا أن كل تراجم علماء الأصفهاني بجزئيه ليست سوى مائة وخمسة من التراجم .

د- فلاسفة الشيخ نعمه :

أما العلامة الشيخ عبد الله نعمه فقد ترجم لأكثر من ستين عالماً ومفكراً وفيلسوفاً من فلاسفة الشيعة المسلمين ، من شتى العصور الإسلامية في كتابه ( فلاسفة الشيعة ) . مدافعاً عن آرائهم الفلسفية ، و موضعاً اعتقاداتهم ، ومبرراً سبب الهجوم عليهم ، بل ومتبنياً تشيع البعض منهم . ولا غرابة في ذلك ، فهذا من حسن الظن بعلمائنا ومفكرينا وفلاسفتنا ، وخاصة علمائنا الأعلام . و مفكرينا العظام .

ورغم أننا لا نرى داع للدفاع عن فلاسفة تبناوا منهج الفلسفة اليونانية الوثنية ، وتركوا الفلسفة الإسلامية التي يمكن إستنباطها من القرآن الكريم ومن الأحاديث الشريفة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام . إلا أنه يمكن تقبل هذا الدفاع وتفهم مبرراته .

ولكن إذا تصدى الشيخ نعمه للدفاع عن هؤلاء ، فحري به أن يدافع عن الفلاسفة والحكماء المسلمين ، الذين رفضوا مدارس الفلسفات اليونانية، و الإشرافية ،والرواقية و تمسكوا بأراء أهل البيت عليهم السلام من أمثال الشيخ أحمد الأحسائي . ولكن يبدو أن الشيخ نعمه عاش في ظلام من اللبس و الضياع حين يكتب عن الأحسائي . أما سبب لبسه وضياعه ، فيعود الفضل فيه ( لأعيان الشيعة ) الذي اعتمد عليه المترجم ترجمة وحيدة للشيخ الأحسائي .

لقد دافع الشيخ الكريم بشكل مستमित عن الرازي ( الذي ينسب إليه مذهب فيما وراء الطبيعة لا يتفق بظاهره مع العقيدة الإسلامية ، و هو قول يعتمد على النظريات القديمة المنسوبة الى انكساجوراس و ابذوقليس و ماني وغيرهم ، ويقوم على أن مصدر الوجود والخلق خمسة أشياء ، وهو مذهب يعود في جوهره إلى إنكار عقيدة إسلامية أساسية ، هي خلق العالم وحدثه ) فلاسفة الشيعة ، ص ٤٣٣ .

إلا أن الشيخ عبد الله نعمه وبعد أن ينقل إتهامات المستشرقين للرازي من أمثال ( فالتزر ) و ( آدم متر ) حين أخذوا عليه إنكاره لمعاجز الأنبياء، بعد أن ألف الرازي عام ٣٠٠ هجرية كتاباً اسماه (مخاريق الانبياء ) عده البعض من المؤرخين بأنه مفسده للدين والقلب و المذهب، ولكن الشيخ نعمه يقول مدافعا (ونحن نقف حول هذه التهم الموجهة ضد الرازي موقف المتحفظ، الذي ينظر إلى أمثال هذه الأقاويل بعين الريبة والحذر ، ذلك لأننا نعلم أن الرازي كانت له مكانته المرموقة ، و قربه من بلاط السلاطين ، ومن شهرته الواسعة في الطب وسائر العلوم ، عاملاً طبيعياً في خلق منافسين وخصوم يناصرونه العداوة ، و يعملون على الحط من شأنه ، و النيل من مكانته و إزاحته من طريقهم ، وكانت الوسيلة الوحيدة الفعالة في ذلك العصر ، بل وفي كل العصور ، هي إتهامه بالمروق من الدين والخروج على المعتقدات ) فلاسفة الشيعة . ص ٤٣٠

ونحن بدورنا نتساءل ، إذا صحت فرضية الشيخ نعمه مع الرازي في عصره ، وفي كل العصور . فلماذا لا تصح مع مَنْ أتهم الشيخ الأحساني بالكفر ؟ بسبب شهرته الواسعة في الحكمة الإسلامية والطب وسائر العلوم ، ولقرب السلاطين منه .

و ينسب إلى الرازي القول بقدم (الهيولي) والإعتقاد بقدم المكان، وأنه مكان مطلق أو كلي، كذلك فإن الزمان عنده قديم، وهو الزمان المطلق وهو المدة والدهر، وهو قديم متحرك غير ثابت، إلا ان الشيخ الكريم يعاود دفاعه عن الرازي ( وما ندرى على التحقيق مدى إقتناع الرازي بهذا المذهب ، ولكن أسماء كتبه الموضوعه في المكان والزمان و الهيولي وغيرها قد تؤيد صحة نسبة هذا المذهب إليه ) فلاسفة الشيعة . ص ٤٣٤ .

وبالرغم من هذا الإقرار من الشيخ نعمه نسبة هذه المذاهب الفاسدة للرازي ، إلا أنه واصل دفاعه عن الرازي ( على أنه يظهر أن الرازي يقصد بتلك العناصر ، و أنه لا بد منها في خلق العالم ، أن الله تعالى برأها وأحدثها أولاً ، ثم خلق الجزئيات وأنها قديمه بالإضافة إلى خلق الجزئيات ، وحادثه بالنسبة للباري تعالى الذي أحدثها ) الفلاسفة . ٤٣٤

ولم يتوقف دفاعه عن الرازي فقط ، بل دافع عن الكندي ، و الفارابي، وابن سينا ومحسن الفيض، وملا صدرا وغيرهم من فلاسفة الشيعة. دافع عن كل هؤلاء رغم ما وجهت إليهم من إتهامات بالفساد في العقائد والكفر والزندقة. بل أن الشيخ نعمه يعتبر الفارابي المؤسس الأول للفلسفة الإسلامية، رغم إنكاره الصريح للمعاد في كتبه (وحسب الفارابي مكانه أنه يأتي في رعييل القافلة الإسلامية في الثقافة و الفلسفة والعلم . وكانت مؤلفاته قد مهدت السبيل لظهور ابن سينا وابن رشد، وكانت نبراساً لحكماء الشرق والغرب ، و سراجاً وهاجاً ، يستضيئون بنوره و يسيرون على هداة ) الفلاسفة. ص ٥٠٤



إن آراء الفارابي الفلسفية التي إعتبرها شيخنا الفاضل نعمه نبراساً لحكماء الشرق والغرب ليست سوى فلسفة اليونان الوثنية ( ومن هنا عدّ الفارابي الفيلسوف الوحيد من بين الفلاسفة المسلمين الذي تتجسد في أفكاره وآرائه الفلسفية اليونانية و خصوصاً فلسفة أرسطو إذ كان من الذين فهموها فهماً صحيحاً بقدر الإمكان ) الفلاسفة . ص ٥١٦

أما ابن سينا فقد أخذ ( ما هب ودب ) من كل المذاهب الفلسفية كما يلائم ميوله و رغباته ( قيل أن ابن سينا لم يكن يستغرق في روح مذهب خاص من المذاهب الفلسفية ، بل كان يأخذ ما يلائم ميوله أنى أصابه مؤثراً الشروح السطحية ، ولذا صار ابن سينا فيلسوف الشرق العظيم الذي تلقني في تأليفه جميع المذاهب ) الفلاسفة ، ٢٧١

وليس غريباً أن يقع ابن سينا في شرك الإنتقادات التي وجهت إليه لأن فلسفته ليست إلا خليطاً من كل المذاهب ( فقد امتزج عنده علم اليونان بالحكمة الشرقية ) الفلاسفة ، ص ٢٧١ . ولذلك قيل أنه يرى بقدّم العالم . و يؤمن بالميعاد النفساني بدلاً من الميعاد الجسماني ، وأن الجزاء الأخروي روحي وليس حسي . ورغم كل هذه الإشكاليات على فلسفة ابن سينا ، وهذه النسب التي تنسب إليه ، إلا أن الشيخ نعمه وجد مبرراً للدفاع عن ابن سينا ( و أياً كانت هذه النسب ، فإن كتابه ( الإشارات ) الذي هو آخر مؤلفاته كما قيل صرح فيه بحدوث العالم ، ورد فيه على من زعم بأن هذا الشيء المحسوس واجب لذاته ) الفلاسفة، ص ٢٦٩

وقد أخذ على الملا محسن الفيض قوله بوحدة الوجود ، حيث وضع رسالة خاصة يصرح فيها بهذا الاعتقاد . وقوله بعدم خلود الكفار في النار، وعدم نجاة أهل الإجتهد وحتى إذا كان من أكابر العلماء، و عدم انفعال الماء القليل بملاقاته النجاسة و كذلك رأيه الخاص بعدم تنجيس المتنجس لغيره . وغيرها من الإشكالات العديدة التي أخذت على الملا

محسن الفيض إلا أن الشيخ نعمه يرى تلك المؤاخذات ( أكثرها في مسائل فرعية ، لا تستوجب كل هذه الحملة ، والأرجح أنها كانت ممدودة بظروف اجتماعية خاصة ، ربما تبرر عنف هذه الحملة) الفلاسفة ، ص ٥٣٤

أما نسبة الصوفية للملا محسن ، فإن الشيخ عبد الله نعمه يلمس له مبرراً ( ومهما يكن من شيء فإن ملا محسن الفيض، كان من رجال العلم البارزين بالفلسفة والأخلاق و الحديث ، وقد بذل حياته في سبيل العلم والمعرفة ، وقضى أيامه مجداً نافعاً ، ومن غير المقبول عادة في أمثاله من أصحاب الأدمغة الكبيرة أن يؤمن بخرافات الصوفية ، القائمة على الشعوذة و الدجل. و العلماء أسمى من ذلك قدراً و أرفع مقاماً) الفلاسفة، ٥٣٤.

وهكذا فعل الشيخ عبد الله نعمه مع الملا صدرا صاحب نظرية ( وحدة الوجود ) و هي مزيج من فلسفات يونانية ، و إشراقية ، و صوفية، وإسلامية . وقد عرف عن ملا صدرا بأخذه العديد من آراء الصوفية. وكان منسجماً مع آراء محي الدين بن عربي. شيخ المتصوفة في عصره . وكان ملا صدرا ممن يكثر الطعن والتحامل على الفقهاء ، إلا أن شيخنا الفاضل نعمه يعده ( هو أعظم فيلسوف إسلامي ظهر في القرن الحادي عشر للهجرة ، و أكبر حكيم إشراقي ، أوضح طرق الفلسفة الإشراقية ، وهاجم الفلسفة المشائية والرواقية بعنف ) الفلاسفة ، ٣٤٦

وإذا أراد الشيخ نعمه أن يقارن بين ترجمتي ملا صدرا والشيخ الأحسائي اختلط عليه الأمر . ولم يعرف إذا كان الشيخ الأحسائي ميالا لأفكار ملا صدرا أم ناقداً له . ولم يكن يدري هل كفر الأحسائي لإتباعه آراء ملا صدرا أم أن الأحسائي هو من كفر ملا صدرا ، فكتب الشيخ نعمه ( يكفي أن تعرف من ذلك أن الشيخ أحمد الأحسائي المتوفى عام

١٢٤٣ هجرية الذي كفره الناس ، لأنه كان يميل إلى بعض آراء ( صدر المتألهين ) كان يقول بكفر صاحبنا ويشنع عليه ) الفلاسفة ، ٣٥٦

وجاءت ترجمة الشيخ الأحسائي في فلاسفة الشيخ نعمه مرتبكة متناقضة . عبارة تمدح وعبارة تفدح . فراح ينقل رأي من هنا وعبارة من هناك حتى اختلط الأمر عليه . فقال ( ونحن إزاء هذا الإختلاف في حقيقة ما نسب إليه لا نزال في ظلام ، ولا نستطيع الوصول إلى مدى صحة هذه الآراء المنسوبة إليه ) الفلاسفة ، ص ١١٤ إلا أن الشيخ نعمه استسلم أخيراً لنظرية الحسد متردداً ( كان للرجل مكانة و شأن ، وله شخصية مرموقة لدى الأوساط آنذاك ، ومن الممكن أن يؤلب ذلك من حوله الحساد و المنافسين ، ويثير من حولهم الظنون ) الفلاسفة ، ص ١١٤

ما يهمننا القول بعد كل هذا أن الشيخ عبد الله نعمه لم يترجم للميرزا موسى الحائري ، الذي اشتغل بالشأن الفلسفي ، والحكمة الإلهية . وأحد أبرز علماء مدرسة آل البيت الحكيمة . ونظرة واحدة على حياة الميرزا الحائري و تصنيفاته تجعله واحداً من أهم المنشغلين بالحكمة والفلسفة الإسلامية .

ه - أعلام الزركلي :

وهذا هو ( الأعلام ) لخير الدين الزركلي ، وهو أحد أشهر كتب التراجم في عالمنا العربي قاطبة . ذلك لأنه قاموس تراجم وضع لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين أيضاً . وبذلك فقد حوت مجلداته الثمانية ، و الكبيرة الحجم ، آلاف التراجم ، في شتى المجالات التي اشتهر فيها الرجال والنساء وبشكل منهجي ، مع إيراد صور بعضهم ونماذج لخطوط أيديهم .

ولكن الزركلي في ( الأعلام ) وبكل طبعاته المتجددة لم يترجم للميرزا موسى الحائري ، رغم ترجمته للعشرات من علماء الشيعة ، ومجتهديهم ومفكريهم ، وكتابهم العرب والمسلمين من شتى الأقطار . وليس خافيا ان الميرزا موسى الحائري قد ولد في بلاد عربية ، وتكلم العربية ، وكتب العربية شأنه شأن المستعربين الآخرين .

بل إن ( إتمام الأعلام ) ٢٠٠٣ والذي صدر بعد وفاة الزركلي، والذي ضم آلاف الترجمات الأخرى لم تتسع صفحاته الكثر لبضعة أسطر عن الميرزا الحائري . بينما حشد ( الأعلام ) آلاف الأسماء للفنانين والفنانات والراقصات و الممثلين و الممثلات من عرب وعجم . ولكنه ترجم في الجزء الأول من أعلامه للشيخ الأوحى زعيم مدرسة آل البيت الحكيمة مليئة بالأخطاء . فقد استبدل جد الشيخ الأحسائي ( صقر ) بجد آخر إسمه ( الصقري ) . مقحماً في ترجمته عبارة ( مؤسس مذهب الكشفية نسبة إلى الكشف والإلهام وكان يدعيهما وتبعه أتباع ربما قيل لهم الشيخية أيضاً ، نسبة إلى الشيخ أحمد صاحب الترجمة . ولهم شطحات وزندقات . وهو مع ذلك شديد الإنكار على الصوفية ) ج ١ ص ١٢٩ . ولا يخفى التردد والإرباك في سياق ترجمه الزركلي ، الذي يحاول أن يضيف صفة الموضوعية على ( أعلامه ) . ومع علمنا بمنهجية الزركلي و استغرابنا لترجمته للشيخ الأحسائي ، يزول استغرابنا و دهشتنا ، إذا عرفنا أنه حاول نقلها حرفياً من ( أعيان الشيعة ) للسيد العاملي .

وتلك أخطاء المترجمين يتناقلها المترجمون من قاموس لآخر ، ومن معجم للرجال لآخر دون تنقيب ، أو تصحيح ، أو تدقيق . وتلك جنابة السيد العاملي رحمه الله على شيخنا الأحسائي وعلى أتباع مدرسة آل البيت الحكيمة من المؤمنين الشيعة .

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة

ولا يمكننا تحميل الزركلي كل الوزر في ترجمة الشيخ الأحسائي بعد تصريحه بنقلها من ( أعيان الشيعة ) وبعد التأكد من موضوعيته التي دققناها بعد مراجعتنا لعشرات التراجم لأعلامنا الكبار من أمثال ترجماته للسيد الخميني والسيد الخوئي وغيرها من الترجمات الأخرى لرجال الشيعة . فوجدناها منصفة ودقيقة .

و- معجم آثار المؤلفين :

وقد تصدى الأستاذ محمد خير رمضان يوسف في ( معجم المؤلفين المعاصرين ) ٢٠٠٤م في رصد آثار المؤلفين المخطوطة و المفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم ، و وضع محمد خير إطارا زمنيا لمعجمه فحصره في وفيات الأعلام الواقعة بين عامي ( ١٣١٥ - ١٤٢٤ ) هجري الموافق ( ١٨٩١ - ٢٠٠٣ ) ميلادي الأمر الذي ينطبق إطار معجمه المكاني والزمني على مطبوعات و مخطوطات الميرزا موسى الحائري . إلا أننا لم نجد أثراً لترجمته أو ذكره في معجمه جزئيه الذي ضم آلاف من الترجمات القصار ، وعشرات الآلاف من أسماء الكتب المفقودة و المخطوطة و المحققة و المطبوعة من العرب و العجم .

ز- ( معجم مؤلفي ) كحالة :

وقد أعد الكاتب عمر رضا كحالة (معجم المؤلفين) لكل الكتاب (من عرب و عجم ، ممن سبقوا إلى رحمة الله ، منذ بدء تدوين الكتب العربية حتى العصر الحاضر ، وقد ألحقت بهم من كان شاعراً ، أو راوياً ، وجمعت آثاره بعد وفاته ، كما اقتصرنا على ترجمة من عرفت ولادته ، و وفاته ، أو الزمن الذي كان حياً فيه) المعجم ، ص ٣ .

وقد طبع معجم المؤلفين أكثر من طبعة منذ عام ١٩٥٧م وضم بين مجلداته الأربعة ما يقارب ثمانية عشر ألف مؤلف ، في طبعته الأخيرة

عن مؤسسة الرسالة عام ١٩٩٣ بعد وفاة مؤلفه ، وإضافة كل المستدركات التي جمعها المؤلف مع متن الكتاب . ورغم آلاف المؤلفين الذين ترجم لهم كحالة من شتى الأقطار ومن مختلف التيارات ، إلا أنه لم يترجم للميرزا موسى الحائري ، ولا غرابة في ذلك فقد اعتمد كحالة في معجمه على عدد من المصادر التي تجاهلت هي الأخرى ترجمة الميرزا الحائري أو سبقت عصره من أمثال أعيان الشيعة ، ومعجم المصنفين ، والأعلام ، ومعجم الأدباء ، وكذلك معجم المؤلفين العراقيين لعواد .

وترجم كحالة للشيخ أحمد الأحسائي ترجمة قصيرة جداً ، ولم يعرف أنه فقيه أصولي ، أو عالم إمامي ، بل إكتفى بنقل ترجمه عواد في ( معجم المؤلفين العراقيين ) الذي ترجمه بأنه ( باحث مشارك في بعض العلوم ، له تعليقه على الرسالة المسماة بالعرشية لصدر الدين الشيرازي ، جوامع الكلم يشتمل على مئة رسالة في مختلف العلوم ، وحياة النفس في حظيرة القدس ) هذا كل ما قاله كحالة عن الشيخ أحمد الأحسائي في الجزء الأول ص ٩٢ . وذكر ان ولادته ١١٦٧ هجرية بدلا من ١١٦٦ هجرية . لذلك فعدم رجوع كحالة لأعيان الشيعة في ترجمة الأحسائي كانت منجاة من الخطأ .

ح - المنجد الكاثوليكي :

وهو من أشهر كتب اللغة والتراجم المتداولة في العالم العربي ، بسبب طبعاته السنوية المتجددة ، و تسويقه إلى أيدي الطلاب والأدباء العرب ، بصفحاته الملونة الجذابة وبسعره الرخيص ، أما مواد المنجد في اللغة فهي في الأصل ( مواد منجد المعلوم ، تراث المطبعة الكاثوليكية النفيس ، وقد زيد عليها مئات المفردات و المعاني المستحدثة من لغة المعاصرين ) المنجد ، المقدمة . أما أعلام المنجد ( فالطبعة الأولى من المنجد في الأدب والعلوم صدرت سنة ١٩٥٦م في مجموعة معاجمنا التي اشتهرت باسم ( المنجد ) تبعثها طبعات منقحة باسم ( المنجد في الأعلام ) وتميزت

الطبعة الصادرة سنة ١٩٧٣ م بتجديد واسع ، ثم اقتصررت التصحيحات و التصويبات في الطبعات التالية على بعض المواضيع ( المنجد من مقدمة الطبعة الخامسة عشر .

و المنجد بقسميه - اللغة والأعلام - لا ينجد في اللغة ولا ينجد في تراجم الرجال . نعم كان هدف ( المنجد ) الترويج للفكر المسيحي بترجماته المكثفة للأساقفة و القساوسة و القديسين الكاثوليكين ، لم يترجم للميرزا موسى الحائري في كل طبعته العديدة . لقد دأب المنجد في طبعته القديمة أن يترجم للشيخ أحمد الأحساني بثلاث صفات : إنه مؤسس فرقة الشيخية ، ومن أتباع ملا صدرا ، وانه من الشيعة الحلولية . وتصدى للمنجد الخطيب علي بن الشيخ إبراهيم إسماعيل في كتابه ( حقائق ) ١٩٦٥ م وناقش إدعاء المنجد و افتراءاته على الشيخ الأحساني . ورغم ان المنجد ، لا يمكن اعتباره مرجعا للعربية ( لأن المنجد كما هو معروف عنه ، لا ينجد في الموضوع الأساسي من مواضيعه ، وهو اللغة العربية ، فضلا عن المواضيع التي أقحم نفسه فيها إقحاماً دون مبرر ولا مسوغ إلا العمل على ترويج نفسه في المكاتب التجارية ) حقائق ، ص ٧ . إلا أن بعض المترجمين اعتمد على ترجمة المنجد التي ابتسر هو الآخر من ( أعيان الشيعة ) و زاد عليها و أنقص ، و خلط في ظل الخلط الواضح الذي سرد فيه صاحب الأعيان ترجمة الشيخ الأحساني .

إلا أن المنجد وبعد أن عرف خطأه الفاضح في ترجمة الأحساني ، بأنه من أتباع ملا صدرا ، وهي نسبة مضحكة ، يعرفها كل من إطلع على فهرست كتب الشيخ الأحساني فقط . ، وإن الشيخ الأحساني من الرادين على مقولات ملا صدرا ، ومن المنكرين عليه ، وليس أشهر من ذلك شرحه لكتابه ( العرشية ) و (المشاعر ) وبعد أن عرف المنجد أن الأحساني كغيره من علماء الإمامية ، لم يقل يوما بالحلولية التي ترى ان الله جل شأنه قد حل في شخص النبي محمد أو الإمام علي أو في ذات أحد من البشر . فقام المنجد بحذف تلك النسبتين من ترجمة الشيخ الأحساني

في طبعاته الأخيرة وتمسك بان الشيخ هو ( مؤسس الفرقة الشيخية ) إلا أنه عاد وأبدلها بعبارة ( مؤسس مذهب الشيخية ) ، ولا يدري حتى الآن لا المنجد ولا قراءه هل الشيخ الأحسائي مؤسس فرقة ؟ أم مذهب ؟ أم طائفة ؟ وهذا هو المضحك المبكي . ( طبعات المنجد ١٩٦٠ م - ١٩٩٨ م )

وإذا ذهبنا نفتش عن أسباب هذا التخبيط الذي وقع فيه المنجد ، وجدنا اعتماده على ترجمة أعيان الشيعة . التي لم يستطع الإنعتاق منها طالما أن السيد حسن الأمين العاملي صاحب ( مستدرك أعيان الشيعة ) من لجنة المساهمين في تحرير المنجد . الخاصة بتاريخ العالم العربي والحضارة الإسلامية ، أما الإشراف الإداري للمنجد فهو للقس بولس براورز .

### تجارب التراجم المحلية :

و هناك العديد من مصادر التراجم المشهورة الأخرى ، أغفلناها إختصاراً . إلا أن الفكرة التي أردنا إيضاحها للقارئ قد وصلت ، ولا بأس باستعراض سريع لبعض التجارب المحلية التي أخذ البعض منها من ( الأعيان ) و ( أحسن الوديعه ) وسأيرت تلك المصادر الخارجية بحكم أسبقيتها وتقدمها . ، ولعل من أبرز مصادر التراجم المحلية - إن صح هذا التصنيف - ( أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين ) للشيخ علي البلادي المتوفي عام ١٣٤٠ هجرية .

### أ- أنوار البدرين :

وهو من أقدم كتب مصادر التراجم لأعلام القطيف والأحساء ، إلا أن ( أنوار البدرين ) طبع بعد وفاة مؤلفة بزمن طويل في أكثر من طبعة . وبين يدينا طبعة دار المرتضى عام ١٤١١ هجرية ١٩٩١ ميلادي . وقد خص الشيخ البلادي أعلام البحرين ب ( ١٢٣ ) ترجمة ، وأعلام القطيف



ب ( ٥٧ ) ترجمة ، كما ذكر هجر - الأحساء - وخص أعلامها ب ( ٢٣ ) ترجمة فقط . وجاءت ترجمات أعلامه تبعاً . البحرين ، و القطيف ، و الاحساء دون تصنيف محدد طبقاً للإسم الألفبائي ، أو الشهرة ، أو العائلة . كما أن الشيخ البلادي لم يشر إلى تواريخ الولادة والوفاة لمعظم أعلامه الذين ترجم لهم .

و بالطبع لم يترجم الشيخ البلادي للميرزا الحائري ، وله العذر في إهمال ترجمته . لأن الميرزا الحائري خارج تخصصاً عن موضوع كتابه . والحائري لا يعد من أعلام البلدان المترجمة لهم . بالإضافة إلى أن وفاة الشيخ البلادي متقدمة على وفاة الميرزا الحائري بأكثر من عقدين من الزمن . فوفاة الشيخ البلادي عام ١٣٤٠ هجرية ، بينما وفاة الحائري عام ١٣٦٤ هجرية . إلا أن الشيخ علي البلادي ترجم للشيخ أحمد الأحسائي ترجمة منصفة ، رغم قصرها ، وترجم لأعلام مدرسة آل البيت الحكيمة في القطيف و الأحساء بتجرد ونزاهة

و للشيخ البلادي كلام جميل عند ترجمته للشيخ علي نقي الأحسائي ( وأما الكلام فيه وفي أبيه ، و السيد كاظم و الجماعة المعروفين بالشيخية وهم المنتسبون للشيخ احمد بن زين الدين ، واعتقادهم صحة و فساداً . فلست أحكم في شيء من ذلك ، إلا صحة الانتماء لمذهب الأئمة الأمناء عليهم السلام ، والإقرار بمحبتهم ومودتهم والتمسك بولايتهم والإلتزام بأحكامهم وحلالهم وحرآمهم وهو أصل متين ) ، أنوار البدرين ، ص ٣٢٦-٣٢٧ . وهذه شهادة صدق من مترجم مؤمن نزيه . اشتغل بعيوب نفسه عن ملاحقة عيوب المؤمنين ، او التشنيع عليهم . رحل الشيخ البلادي إلى رحمة ربه ، إلا أنه أعطى شهادة حق منصفة في حق أعلام كبار من علماء الإمامية وفقهائها .

كثيرة من مصادر التراجم المحلية ، حاولت إقتفاء أثر البلادي ، ولم تستطع الإفلات من هيمنته وأسلوبه في الترجمة ، إلا أنها لم تستطع أيضاً أن تكون بمثل إنصافه ونزاهته ، لذلك فمن الغريب ان يُقدّم السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي الاصفهاني صاحب ( أحسن الوديعة ) لتراجم أنوار البدرين عند طباعته ، واصفاً إياه بأنه ( يليق بأن يكتب بالنور على الأحداق لا بالحبر على الورق ) أنوار البدرين ، ص ٥ . ويبدو أن وصفه للكتاب بهذا المديح بسبب عدم إطلاعه على تراجم الشيخ احمد الأحسائي وتلامذته . وهذا ما أقر به السيد الأصفهاني في مقدمته للكتاب ( وطالعت شطراً منه ) أنوار البدرين ، ص ٥ . أي أنه لم يتمكن من الإطلاع على كل تراجم الكتاب إما بسبب كبر سنه أو مرضه . حيث إنه كتب تقریظه للكتاب عام ١٣٧١ هجرية وهي سنة وفاته رحمه الله .

ب - أعلام هجر :

تعد موسوعة ( أعلام هجر ) للسيد هاشم محمد الشخص ، في ترجمة الأعلام الاحسائيين ، من أهم مصادر التراجم المحلية لأعلامنا ، وقسم السيد الشخص موسوعته إلى ثلاث أقسام : الأول ويعنى بترجمة كبار العلماء والفقهاء ، ويختص الثاني بترجمة الشعراء الماضين والمعاصرين ممن لم يدخلوا في القسم الأول ، بينما يعني القسم الثالث بسائر الأعلام من الأدباء والكتاب و الخطباء . وقد صدر حتى الآن أربعة أجزاء من القسم الأول الخاص بالعلماء و الفقهاء الشيعة في هجر .

وعمد الكاتب في موسوعته ( أعلام هجر ) على ترتيب التراجم ، طبقاً لحروف الهجاء في كل جزء من أجزاء القسم الأول . وأرفق مع صاحب الترجمة صورة له ، أو مجموعة من الصور ، ويتميز أعلام هجر عن غيره من مصادر التراجم ، بأنه أقلها أخطاء من الناحية الموضوعية ، وأبعدها عن النقل دون تثبيت أو تدقيق . إلا أنه وقع في شرك التصنيف والفرز ، بحكم الهيمنة التاريخية التي رأيناها في مصادر التراجم

الخارجية عن مدرسة آل البيت الحكمية و زعيمها الشيخ أحمد الأحسائي . وقد أشار إلى هذا الجانب تحديدا صالح السليمي في كتابه ( أضواء على مدرسة الأحسائي ) وأورد العديد من الإعتراضات الموضوعية عليه .

أما من الناحية الشكلية فقد أشار إليها عبد الله الرستم في مقالته (ملاحظات على موسوعة هجر) مجلة الواحة ، ٢٠٠٦ م وأورد في مقالته تلك عشرات الملاحظات على أجزاء الموسوعة . ولا نريد أن نكرر اعتراضات السليمي ولا ملاحظات الرستم . إلا أننا نرغب في الإشارة إلى الملاحظات الخاصة بموضوع بحثنا ، فيما يتعلق بدقة الترجمات و مصداقيتها .

ولنأخذ مثالا واحداً فقط ، لترجمات السيد هاشم الشخص ، لنرى مدى الإرباك التي لازمها . وكيف فقد سيدنا الفاضل أدوات البحث التاريخية في النقد و التمحيص و التدقيق . وهي ترجمته لأحد أعلام الأحساء الأفاضل ذات الرقم ( ١٠٩ ) من الجزء الثالث . التي بدأها بقوله (من كبار علمائنا الأجلء ، علامة فاضل جليل القدر وفقهه مجتهد) ج ٣ ، ص ٩٨ . ونحن نورد ملاحظتنا تلك على الترجمة وليست على المترجم له .

ولعل أهم هذه الملاحظات إعتقاد السيد الشخص في ترجمته تلك على ترجمة وحيدة ، هي ترجمة ابنه له (وهي المصدر الأساس لنا في هذه الترجمة) أعلام هجر ، ج ٣ ص ٩٦ . وترجمة الإبن لأبيه هي في الغالب ترجمة عاطفية ، ليست حيادية المصدر . وقد أشار لها السيد الشخص مرة باسم ( في ذكر أبي ) ج ٣ ، ص ٩٦ . ومرة أخرى باسم (في ذكرى أبي) ج ٣ ، ص ١١٧ .

كما لم يكتف صاحب (أعلام هجر) بترجمته للمترجم له ، باعتباره فقيهاً أحسانياً ، بل ترجم لكل أفراد أسرته ، من أطباء و موظفين و شباب ، ومن كل الأسر التي تمت بصله حسب أو نسب للمترجم له و عدهم

من (الأعلام) أيضاً . وبلغ عددهم أكثر من أربعين ( علماء ) الأمر الذي أخرج الترجمة من إطارها الموضوعي .

وإذا أراد أن يعدد أساتذته المترجم له ، أورد العديد من الأساتذة ، رغم انه لم يشر إلى تواريخ سنوات تتلمذه على يديهم .

والأغرب من كل ذلك ان صاحب ( أعلام هجر ) وبعد أن عدد أساتذة المترجم له في ج ٣ ص ١١٣ ، يعود مرة أخرى ويكرر أسماء هؤلاء الأساتذة . ج ٣ ص ١١٦ .

و لم يخبرنا السيد الشخص لماذا أجاز الشيخ حبيب آل قرين المترجم له إجازتين الأولى عام ١٣٤٥ هجرية والثانية في عام ١٣٥٥ هجرية . ج ٣ ص ١١٨ وهو ليس من ضمن أساتذته في النجف الأشرف .

و ينقل السيد الشخص مقاطعاً عديدة لابن المترجم له ، الذي يمتدحه بأنه متضلعا في الصرف والنحو والبلاغة والمنطق . ج ٣ ، ص ١٢١ . وكان إلى جانب تخصصه بالفقه وعلوم اللغة العربية ، متخصصاً بالحكمة الإلهية وعلم الكلام . ج ٣ ، ص ١٢٢ .

ويضيف ابن المترجم له ( وقد ظهر لي انه متأثر في الحكمة بفلسفة صدر المتألهين الشيرازي ) أعلام هجر ، ج ٣ ، ص ١٢٣ . فكيف يكون متخصصاً بالحكمة الإسلامية ، وهو متأثر بفلسفة ملا صدرا ، والتي هي مزيج من الفلسفات الإسلامية واليونانية والصوفية والإشراقية ؟ وهل الاعتقاد بنظرية ( وحدة الوجود ) كما قال بها ملا صدرا ، يعد من مبادئ الحكمة الإلهية ؟

و يضيف السيد الشخص نقلاً عن ابن المترجم له ، أنه متخصص في التفسير ، ومنتدوق للنثر الفني ، و الشعر . قدم من النجف وسكن الأحساء

ست سنوات ، ثم انتقل إلى البصرة. ولا يخبرنا صاحب أعلام هجر لماذا إنتقل المترجم له إلى البصرة ؟

وفي البصرة العديد من العلماء الكبار ، إلا أنه حصل على وكالة حسبية من السيد الأصفهاني بواسطة السيد مهدي القزويني . فهل يحتاج عالم كبير إلى ( واسطة ) من أجل الحصول على وكالة حسبية ؟

ولا بأس من إبراز جهود العلماء والفضلاء و المشائخ في نشر العلم ومحاربة الجهل ، كما نقل السيد الشخص عن ابن المترجم له . ولكن ما هي تلك الجهود ؟

ينقل السيد الشخص من ترجمة أعدها ابن المترجم له عن أبيه ، نشرتها مجلة الموسم في عددها ( ٩-١٠ ) ١٤١١ هجرية . فيضيف على شخصية والده الفاضل الكثير من البطولات - في معارك وهمية - التي لا يحتاج الوالد إليها . فمرة معركته مع الشيوعية ، وأخرى معركته في توحيد المرجعية ، وثالثة ضد الإشتراكية ، وأخيرا محاربته للشيوعية .

وبعد كل تلك المعارك ، يتضح أن الأمر ليس سوى ورود اسم المترجم له في إحدى البرقيات، و ينقل السيد الشخص (ومن مواقف المترجم له الجهادية في البصرة موقفه مع علماء البصرة في شجب الإشتراكية) ج ٣، ص ١٣٣ . وهكذا يتضح لنا أن الشيخ الفاضل قد أبرق كما أبرق كل العلماء ومنهم علماء البصرة إلى بغداد يشجبون الإشتراكية .

وعدد السيد هاشم الشخص سمات المترجم له من إخلاص وصدق وشجاعة ، وكرم ، وزهد ، وتواضع ، و وفاء إلى غيرها من الصفات التي أوردتها المترجم . وتلك سمات يجب أن تتوافر في رجل الدين . ويضيف ( ويشغل أوقات فراغه بالقراءة و التفكير ) ج ٣ ، ص ١٤٦ .

وينقل السيد الشخص كل ذلك الكلام بتوسع مطول ، منقولا بالكامل من كتابي ( في ذكرى أبي ) و ( هكذا قرأتهم ) لابن المترجم له .

وبالإضافة ( للتفكر ) الذي يشغل وقت فراغه فيه . حرصه على تتبع أخبار الإذاعات و الصحف بواسطة أهله و ذويه . ج ٣ ، ص ١٤٧ .

و ينقل السيد الشخص للمترجم له ( كرامتين ) أخذهما عن ابنه . الأولى قال أن المترجم له سيقترن وفاته بوفاة عالمين كبيرين . ولا ندري لماذا عدت وفاة عدد من العلماء في سنة واحدة كرامة للمترجم له ؟

أما الكرامة الثانية عقب وفاة المترجم له ، حيث نقل جثمانه رحمه الله بالسيارة من سيهات إلى المدينة المنورة . إلا أن السيارة نفذ منها الوقود ، واستمرت تسير دون وقود ٨٠٠ كيلو مترا ؟ ج ٣ ص ١٥١

و بترجمة وفاته رحمه الله تكون ترجمته قد تمت . إلا أن السيد الشخص يعاود ترجمة أبنائه و ذريته من جديد للمرة الثانية ، بل ترجم لأحفاده ، وأسباطه ، ثم أفرد الصفحات ١٥٨ إلى ١٨٩ من الجزء الثالث في ذكر مراثيه الشعرية و مناقبه النثرية .

ولعل أبرز ما يستوقف القارئ في هذه المناقب ( جراته ) ، التي أشار إليها من كتب عنه . و ننقل هنا أمثلة لجرأته رحمه الله .

يسأله أحد السائلين من المؤمنين عن بعض مسائل الحج . فيجيبه المترجم له في غضب ( لا داعي أن تذهب إلى الحج حتى تصحح تقليدك ) . لأن المترجم له لمس من السائل تقليد من لا يكفي ولا يجزي تقليده ؟ . ج ٣ ، ص ١٨٤ .

فمن هم من علماء ومجتهدي الإمامية ممن لا يصح الرجوع إليهم؟ وإن وجد مثل هذا المرجع الإمامي الذي لا يصح تقليده . أهكذا يجاب على السائل!

أما الثانية أدهى وأمر . حيث تتجسد ( جراته ) في ذهابه إلى أستاذه الذي تعلم على يديه و شيخه الذي أجازه في بداية حياته وتمزيق الإجازة التي منحها إياه في وجهه ( إن شخصا أجازني ثم تبين لي عدم اجتهاده ، فذهبت له ومزقت الإجازة . وقلت له : إنك لست مجتهداً فكيف تجيز الآخرين ) ج ٣ ، ص ١٨٤ .

ولا يخبرنا المترجم من هو شيخه؟ هل هو الشيخ حبيب بن قرين، أم السيد ناصر الهاشم أم غيرهما؟ لا ندري؟ وإن وردت تلك الحوادث وغيرها في التدليل على جراءة المترجم له، فنحن نشك في نسبتها إليه. لأن آداب العلماء والفضلاء وسلوكهم تمنعهم عن الإتيان بمثل هذه السلوكيات.

أم أن تمزيق الإجازة في وجه أستاذه بهذه الحدة ، له علاقة بما يردده البعض من ان الشيخ الفاضل كان ركنيا في بادئ أمره . ثم تركها ؟ لا ندري ؟

أما مؤلفات المترجم له القليلة ، فلم يطبع منها شيء ، لأنها قد تلفت أيام الحرب العراقية الإيرانية . ج ٣ ، ص ١٨٩ . ولم يخبرنا المترجم كيف فقدت تلك المؤلفات ! ولكننا نعرف أن الكتب و المؤلفات عادة تفقد أثناء الحروب الأهلية ، و الاضطرابات ، و الكوارث البشرية .

و يعاود السيد هاشم الشخص من جديد ذكر إجازات المترجم له ، و وكالاته الحسينية . ج ٣ ، ١٩٠ . بعد أن ذكرها أثناء الترجمة لأكثر من مرة ، بالإضافة إلى إحدى عشر صورة للمترجم له في مختلف حياته العمرية . بالعمامة تارة ، وبالفترة الخليجية تارة أخرى .

تلك بعض الملاحظات على ترجمة واحدة من ترجمات ( أعلام هجر ) ونحن نناقش الترجمة باعتبارها عملاً فكرياً صرفاً . ولا نحاكم المترجمين لهم ولا حتى المترجمين . فكلا الفئتين نكن لهما الإحترام ، لأنهما إما من علمائنا الكبار ، أو من كتابنا البارزين الذين نكن لهم كل تقدير .

#### ج - حركات الخيزري :

ويعد كتاب ( الحركات الفكرية في القطيف ) لشيخنا الفاضل العلامة عبد الله الخيزري بأجزائه لثلاثة ، من أهم الكتب التي ترجمت للحياة الفكرية في هذه المنطقة ، ومن أغزر الكتب معلومة في هذا الجانب . ولا غرابة في ذلك فمؤلفه عالم فاضل وأديب كبير ، أثرى ساحتنا العلمية والفكرية بالعديد من المؤلفات القيمة .

و يغلب على كتاب ( الحركات الفكرية ) طابع الترجمات الأسرية . و الحقيقة أن أسرة المؤلف من الأسر العلمية في القطيف . إلا أن المؤلف ترجم أيضاً للعديد من أدباء القطيف وشعرائها ، و ذكر العديد من علمائها . ولكننا لم نجد ذكراً لأعلام القطيف الذين عُرفوا بانتمائهم لمدرسة آل البيت الحكيمة ، و زعيمها الشيخ أحمد الأحسائي . ج ٣ ، ص ١٣ . من أمثال الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن طوق القطيفي ، والشيخ عبد الله بن الشيخ مبارك القطيفي و الشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار القطيفي ، و غيرهم من مشائخ وأعلام القطيف الذين عرفوا بانتمائهم لهذه المدرسة . راجع كتابنا آخر الفلاسفة ، ص ٥٣ .

#### د - أعلام الخليج :

و يعد ( الفهرست المفيد في تراجم أعلام الخليج ) لأبي بكر عبد الله بن محمد الشمري من التجارب المعاصرة ، التي حاولت التأريخ بموضوعية لكل رجالات و نساء الخليج العربي في شتى المجالات .



و حوى (الفهرست المفيد) على عشرات التراجم لعلماء وفقهاء الإمامية من مختلف العصور ، حاول المترجم إصباح الحيادية البحثية عند نقل الترجمة . وما يؤخذ على الفهرست المفيد اعتماده في التراجم المعاصرة على ترجمة الأعلام لأنفسهم . لذلك كانت التراجم غير متناسبة من حيث الطول والقصر ، ومن حيث المنهجية . بل وفي طريقة العرض ، المتعددة الأساليب الفنية الكتابية .

و بالطبع لم يترجم الفهرست للميرزا موسى الحائري ، باعتبار أن ترجمة الحائري خارجة موضوعاً عن عنوان الفهرست . إلا أنه ترجم للشيخ أحمد الأحسائي ولأولاده ، وللعديد من تلامذة الشيخ الأحسائي ، وأعلام مدرسة آل البيت الحكيمة . و اعتمد الشمري في معظم ترجماته على النقل بدلاً من التدقيق و التحقيق .

و يمكن ملاحظة النقل بوضوح ، ومن مصدر وحيد في ترجمته للشيخ أحمد الأحسائي ، حيث نقل عبارة صاحب ( أعيان الشيعة ) في بداية الترجمة ( و يعد مؤسس مذهب الكشفية والإلهام فيقال لجماعته الشيخية نسبة إليه ) ج ١ ، ص ١١ . ولم يزد غير ذلك في ترجمته إلا قوله أنه سافر إلى قم وسكن البحرين في أواخر أيامه . إلا أن مصادر الترجمة التي ترجمت للأحسائي لا تشير إلى إقامته في ( قم ) ولا تشير إلى سكنه في البحرين .

هـ - أعلام المدرسة :

و يبقى كتاب ( أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي ) لأحمد عبد الهادي المحمد صالح ، من أوفى التراجم الجماعية المتخصصة في التأريخ لأعلام مدرسة آل البيت الحكيمة . و لا شك أن المؤلف إسّعر حجم هذا الإهمال ، و الحيف على أعلام هذه المدرسة ، فبادر للترجمة عن هؤلاء الأعلام بكل تجرد وبكل موضوعية .

و ( أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي ) الصادر ٢٠٠٦ م هو مختص في أعلام القرن الثالث عشر الهجري . ترجم للشيخ الأحساني وتلامذته و المجازين من الشيخ . وفي القسم الثاني خصصه لمن تتلمذ على يد أحد تلامذته ، وعُرف بتبنيه لمدرسة الشيخ الأوحدي الفكرية . إلا أن المؤلف لم يترجم للميرزا موسى الحائري ، حيث عده من أعلام القرن الرابع عشر بحكم الوفاة .

و - تراجم المشيخ :

وبالإضافة إلى كتاب ( أعلام مدرسة الشيخ الأوحدي ) في موضوعيته وحياديته ، هناك ( القطيف وملحقاتها ) ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م للشيخ عبد العظيم المشيخ ، فهو سفر عظيم . لم يترجم للقطيف ورجالاتها ، بل للمنطقة بأسرها ، في دراسة موضوعية ، شاملة ، استخدم المشيخ أدواته التاريخية في النقد والبحث والتحليل بمهارة عالية .

لذلك فالكتاب دراسة موسوعية قل نظيرها ، وليست مجموعة من التراجم ينقلها من هنا وهناك ، ورغم وجود بعض الأخطاء الصغيرة غير المقصودة من المؤلف حين استعراضه ( لاتجاه الحكمة الأحسانية ) وأعلام تلك المدرسة ، إلا أن استعراضه كان شاملاً ، ومنصفاً ، وحيادياً . وأشار إلى اسم الميرزا موسى الحائري مراراً في دراسته تلك ، إلا أنه لم يترجم له ترجمة منفصلة عندما ترجم لأعلام المدرسة ، رغم أنه ترجم لابنه الميرزا علي الإحقاقي .

ومن تلك الأخطاء غير المقصودة في ( القطيف وملحقاتها ) إشارته المتكررة ( أن الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي أحد تلامذة الميرزا موسى الحائري ) . ج ١ ، ص ٥٥٠ . و الصحيح أن الشيخ عبد الله أحد مجيزي الميرزا موسى الحائري . وهذا هو المنصوص عليه في كل كتب التراجم .

وقد نشرت مجلة ( التراث ) نص إجازة الشيخ عبد الله بن معتوق للميرزا موسى في المجلد الثاني عام ٢٠٠١ م . و مؤخرًا قام عبد العلي آل سيف بتحقيق إجازة الشيخ عبد الله بن معتوق للميرزا موسى الحائري . مجلة الواحة ، العدد ٤٢ ، السنة ١٢ ، ٢٠٠٦ م . ولا بأس من الإشارة سريعاً إلى أن محقق الإجازة - آل سيف - ترجم في الهوامش ترجمات قصيرة لأعلام هذه المدرسة في نهاية تحقيقه ، اجتزأها من ( أعيان الشيعة ) بكل أخطائها .

و نعود للقول أن الشيخ عبد العظيم المشيخ قد درس جميع الإتجاهات الفكرية الشيعية ، بتجرد ونزاهة ، و بموضوعية . وحاول الشيخ المشيخ فهم تلك الإتجاهات ، و إعطاء أعلامها ومفكرها فرصة الدفاع عن نفسها . بدلا من إطلاق الأحكام العشوائية . ولا عجب في ذلك فالشيخ عبد العظيم المشيخ مؤرخ من الدرجة الأولى ، و باحث من المرتبة الممتازة .

### التراجم الفردية :

تلك مجموعة عديدة من مصادر التراجم الجماعية ، حاولنا إختصار ملاحظتنا عليها . و الوقوف عند نجاحاتها و عثراتها . ويمكننا الآن الإشارة إلى ترجمتين فرديتين . الأولى لجهاد الخنيزي عن السيد الشيرازي ( معالم مرجعية الإمام الشيرازي في القطيف ) والثانية لسلمان بن حسين الحجي بعنوان ( الشيخ محمد بن سلمان الهاجري ) .

و الترجمة الأولى ليست ترجمة تقليدية ، بل دراسة فكرية و تاريخية جادة - رغم صغر حجمها - درس في الفصل الأول تاريخ الثقافة الدينية والمرجعية بكل عواملها الذاتية والخارجية . وفي الفصل الثاني استعرض الكاتب أربعة معالم خاصة بمرجعية الإمام الشيرازي . فجاءت تلك الدراسة نموذجاً جاداً و نزيهاً للتراجم الفردية .

أما الترجمة الثانية للتراجم الفردية فيمكن وصفها بأنها من التراجم الإحتفالية . وهي ترجمة سردية . في فصلها الأول نسب الشيخ الهاجري ودراسته ، وفي الفصل الثاني صفاته ، و يحتل الفصل الثالث - صدى الوفاة - أكثر من ثلثي حجم الترجمة الصغيرة ، متضمناً برقيات التعزية ، و المراثي ، و صور العزاء .

### نهاية المطاف

كان ذلك الإستعراض سريعاً لأبرز مصادر التراجم المتداولة ، إلا أن هناك العديد من المصادر الأخرى التي سنشير إلى بعضها في الفصول القادمة . و السؤال الأهم الآن هو : لماذا هذا الإستعراض ؟ ولماذا البحث في مصادر التراجم طالما أن هذه الترجمة معنية بترجمة الميرزا موسى الحائري ؟

إن دراسة في سيرة الرجال والأعلام من أي نوع تعتمد على مصادر موثوقة يمكن الأخذ بها . و تحليلها ومقارنتها بتراجم من مصادر أخرى ، ولكننا فوجئنا حين قدمنا لترجمة حياة الميرزا الحائري بالحيث والجور الذي وقع على تراجم أعلام مدرسة آل البيت الحكيمة . و الحائري أحد رجالها الكبار . و فوجئنا بالإهمال المتعمد لترجمة هذا العالم الكبير من مختلف مصادر التراجم . ولعل أبرز النتائج التي يمكن للقارئ إستنتاجها بعد هذا العرض المفصل ما يلي :

أولاً : غياب الموضوعية التاريخية عند أغلب كتاب التراجم لاعتمادهم على الجهود الفردية و بسبب إفتقاد ترجماتهم لأي منهج بحث علمي محدد . فجل هذه التراجم تعتمد على النقل الحرفي دون تدقيق أو مقارنة .

ثانياً : التشويه المتعمد لترجمة الشيخ أحمد الأحساني وللإعلام من تلاميذه .  
و كثرة الأخطاء الواردة في تراجمهم .

ثالثاً: غياب الدراسات المتخصصة عن الميرزا موسى الحائري . وكل  
مصادر ترجمته هي ترجمة سرديّة واحدة ، نسخها المترجمون لأكثر من  
مرة .

رابعاً : إزاحة أعلام مدرسة آل البيت الحكيمة من كتب الترجمة بشكل  
منهجي و منظم . وإذا ترجم للبعض منهم غُيب عن إتجاهه الفكري .

خامساً . إن التشويه المتعمد لإعلام هذه المدرسة ، أو إزاحة بعض الأعلام  
الآخرين عن كتب التراجم قد تم في الأساس على أيدي إخوة لنا في  
الدين و العقيدة والمبدأ .



## ثالثاً : قراءة الترجمة

يخطئ من يظن أن التاريخ هو الشاهد على أحداث الماضي وحده، فالتاريخ شاهد على أحداث الماضي والحاضر ، وما يمكن أن يسفر عنه المستقبل أيضاً . لذلك فمن الغبن ان يضل هذا الشاهد معصوب العينين ، أو مغمور الجذور في تراب الأرض . المسلمون وكتابة التاريخ ، ١٩٩٥ م.

وقد أدرك العرب أهمية هذا ( الشاهد ) على الأحداث المتعاقبة ، فاهتموا بكتابة التاريخ ، تبعاً لاهتمامهم بأيام العرب و السيرة النبوية ، والأنساب ، ورواة الأخبار وألّفوا في مختلف مجالاته المتعددة . فجاءت كتب التراجم من زاوية إهتمام العرب بأنسابهم ، وإعتزازهم بها . وخاصة تلك الأسر البارزة التي تزعمت الحياة الإجتماعية والسياسية في نفس الوقت . أما محتوى كتب التراجم فيقول عنها الدكتور عبد العليم خضر ( إن محتوياتها متباينة تبعاً لموضوع البحث و الناحية التي يعالجها المؤلف منه، و لعل العنصر المشترك فيها جميعاً هو تواريخ وفيات الأشخاص المترجمين ) ص ١٦٥ .

وبناء على تباين كتب التراجم ، فإن ترجمتنا للميرزا موسى الحائري ستكون قطعاً ترجمة مغايرة للترجمات السردية و الإحتفالية القليلة التي ترجمت له . إنها محاولة جديدة لإعادة صياغة الأحداث و المواقف بشكل جديد . كما أنها محاولة استنتاجية لاستنتاج التاريخ ، حتى يتحول هذا الشاهد ، من شاهد صامت إلى شاهد ناطق ، يدلنا على مكامن الحقيقة ، و يأخذنا إلى معالم الطريق .

## عصر الحائري :

تميز عصر الميرزا الحائري بعدد من الملامح ، لم ينتبه لها الكتاب حين مروا بعصر مرجعيته ، لكننا نستطيع أن نصف – وبشكل جازم - عصر الميرزا الحائري ، إنه عصر الهدوء النسبي للصراع بين مدرسة آل البيت الحكيمة و بين أتباع مدارس الحكمة اليونانية و الإشرافية وغيرها من مدارس الحكمة الأخرى . ولا نقصد بذلك (الصراع الفكري) ، فهذا الصراع لم تهدأ جذوته حتى الآن ، ولكننا نقصد بالتحديد الصراع الفكري العبثي إن صح هذا التعبير . أو لنقل التهريج و التصادم العنيف كما جرى إبان عصر شيخنا الأحسائي الذي أدى لتكفيره ، وإبان عصر السيد الرشتي الذي أدى إلى إستشهاده . وإذا إستثنينا حادثة إمامة الجماعة في الحرم الحسيني ، عقب وفاة والده ، والتي تجلت فيها حكمة الحائري ، وبعد نظره في حفظ حرمة الإمام من الهتك . (الطالقاني ، ص ١٩٧) . فإن المصادر التاريخية التي أرخت لتلك الفترة لا تشير لنا إلى صراع آخر .

ولا نرغب هنا في الدخول مفصلاً إلى الصراع العنيف والدموي قبل عصر الميرزا الحائري ، فقد أرخت العديد من المصادر لهذا الصراع . ولكن يمكن أن نشير سريعاً لأبرز نقاط هذا الصراع . و لعل السيد الطالقاني ١٩٩٩ هو أهم من أرخ لتفاصيل هذا العنف العبثي في عصر الشيخ الأحسائي ، من التشهير به ، و إتهامه بالكفر . وكذلك في عصر السيد الرشتي ، و تكفير بعض أهل كربلاء له لثنيه عن مدرسة آل البيت الحكيمة . و يضيف الطالقاني : جفاه أشقياء أهل كربلاء ، عقب تدميرها على يد نجيب باشا ( و تعود به الذاكرة إلى ما قبل الحادثة بسنين يوم جمعوا عليه الغوغاء من كل صوب و حذب حتى ضاقت بهم البلاد ، و حشروهم في مجلس عام ضاقت أرجاؤه ، فتسلقوا جدرانها و سطحه و ملأوا



الطرق المؤدية إليه ، وذلك ليحاكموه و يهتكوه و يعلنوا كفره على الملأ ... و يوم أمروا أتباعهم بخطف عمته في حرم الحسين عليه السلام وهو يصلي بين يدي ربه ، و يوم رموه بالرصاص وهو خارج من صحن الإمام ليقتلوه ، فأخطأوه و أصابوا خادمه ، و يوم أرادوا إجلاءه عن كربلاء فنادوا بالناس وجمعوهم عليه وهو يدرس ، و أرادوا أن ينزلوه من المنبر لإخراجه ، كان يستعرض كل ذلك في ذاكرته ( ص ١٦١ . إلا أن الصراع لم ينته إلا إلى مصرع السيد الرشتي مسموماً على يد نجيب باشا .

و استمر الصراع العنيف حتى بعد مصرع السيد الرشتي ( حتى قتل السيد أحمد ابن الرشتي غيلة ليلة الأثنين السابع عشر من جمادى الأولى عام ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م في زقاق باب السدرة وهو خارج من الصحن الشريف بعد أداء صلاة العشاء ) الطالقاني ، ص ١٧٠ و ( قتل بعده في الصحن الحسيني الشريف خذنه وشاعره الملازم له الشاب الشيخ محمد فليح الذي أراد ان يفديه بنفسه وفاء منه ونبلا ) الطالقاني ، ص ١٧٠ .

و في عصر الشيخ حسن كوهر لم يزل الصراع عنيفاً ولكنه هذه المرة مع الفرقة البابية ، فناظر الباب في مجلس نجيب باشا ، وحكم بكفره مع السيد إبراهيم القزويني صاحب ( ضوابط الأصول ) . و استمر صراع الشيخ حسن كوهر مع عدد من أتباع مدارس الفلسفة اليونانية الوثنية من جهة ، ومع أتباع البابية من جهة أخرى حتى أخرج ( قررة العين ) من كربلاء خوفاً من انتشار البابية فيها .

إلا أن فتنة الباب و البابية لم تنته ، بل انتقل الصراع إلى تبريز وهناك تصدى له مجموعة من العلماء و ناظروه ، بعد دعوة السلطان ناصر الدين شاه القاجاري لمناظرة الباب الذي أنكر معظم المعتقدات الإسلامية وكان أبرزهم حجة الإسلام المامقاني أحد ابرز زعماء مدرسة آل البيت الحكيمة هناك ، فحكموا بكفره . الطالقاني ، ١٨٧ .

و في عصر حجة الإسلام محمد حسين المامقاني ، ثارت دائرة الصراع العنيف مرة أخرى ، وجرى تحريض وتأليب السلطان القاجاري على أتباع مدرسة آل البيت الحكيمة . فدعى السلطان ناصر الدين شاه المامقاني للرد . فرد عليه بكتاب ( علم المحجة ) فاقتنع السلطان القاجاري بحجة ومنطق وسلامة فكر مدرسة آل البيت الحكيمة . الطالقاني ، ص ١٨٩ .

و أخيرا دبر جمع من الغوغائيين أمر اغتياله أيام العشرة من عاشوراء ، ولكنه نجا من تلك الحادثة ، إلا أن حدث دموي مشابه راح ضحيته جمع غفير من تلك المؤمنين في إحدى جوامع تبريز ، من تدبير عدد من السفهاء . أعلام مدرسة الأوحاد ، ٤٨٤ .

إلا أن التأليب على مدرسة آل البيت الحكيمة ، لم ينته ، فعقب دخول الروس تبريز ، اشتعلت الدسياسة والخيانة الأمر الذي أدى إلى مصرع أحد أعلام المدرسة ألا وهو الميرزا علي ثقة الإسلام التبريزي شنقا ، عام ١٣٣٠ هجري . وذلك لموقف ثقة الإسلام من الإحتلال الروسي لبلاد إسلامية ، و تحرك أصابع النميمة و الخيانة هناك . الطالقاني ، ص ١٩٥ .

وكما تميز عصر الميرزا الحائري (١٢٧٩-١٣٦٤) هجرية بهدوء الصراع المسلح ، فقد تميز عصر الحائري بتعدد مرجعيات مدرسة آل البيت الحكيمة . فهناك مرجعية الشيخ محمد حسين بو خمسين ( ١٢١٠-١٣١٦ ) هجرية و مرجعية الشيخ عمران بن حسن السليم العلي المتوفي ١٣٦٠ هجرية و مرجعية الشيخ حبيب بن قرين ( ١٢٧٥-١٣٦٤ ) هجرية بالإضافة إلى المرجعية الكبرى للشيخ محمد العيثان الذي توفي عام ١٣٣١ هجرية في الاحساء .

وفي تبريز تواجدت مرجعية كل من محمد حسين المامقاني المتوفي عام ١٣٠٣ هجرية صاحب ( علم المحجة ) و مرجعية الشيخ محمد تقي حجة الإسلام المامقاني المتوفي عام ١٣١٢ هجرية صاحب ( صحيفة الأبرار ) .

كما تواجدت مرجعية الشيخ عبد الله بن معتوق التاروتي القطيفي ( ١٢٧٤-١٣٦٣ ) هجرية في القطيف . و غيرها من المرجعيات الاحسانية و القطيفية الكبرى التي عرف ولاؤها لمدرسة آل البيت الحكيمية من أمثال مرجعية السيد ناصر الهاشم ( ١٢٩١-١٣٥٨ ) هجرية . فكر ومنهج ، ص ١٤١ .

ولم نجد تنافساً سلبياً يذكر بين هذه المرجعيات بل تكاملاً فيما بينها . يجيز أحدهم الآخر، و يثني عليه، و يقدمه للمرجعية . كما هو الحال في إجازة الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي عام ١٣٣٢ هجري للميرزا الحائري . وكما هو الحال ايضاً في إجازة الحائري نفسه لتلميذه الشيخ حبيب بن قرين . رغم ان الأخير أكبر سناً من الحائري . فقد كانت العلاقة بين هذه المرجعيات، علاقة حميمية نادرة، يسودها الفهم المشترك والخوف من الله سبحانه وتعالى، والإنضمام تحت لواء مدرسة آل البيت الكبرى .

فالشيخ العيثان الأحساني هو تلميذ الميرزا محمد باقر . و الميرزا الحائري تلميذ الشيخ العيثان في علاقة لم يشهد لها التاريخ نظيراً ، من الإحترام المتبادل . بل أن كل واحد من هؤلاء المراجع الأعلام ، يحيل الناس إلى مرجعية الآخر . كما نقل عن السيد ناصر الهاشم عندما أشار على سائله بتقليد أحد مراجع الدين الثلاثة بعده : الشيخ عبد الله بن معتوق ، والشيخ حبيب بن قرين ، والميرزا موسى الحائري . دعوى وحدة الناطق ، ص ٦٦ . و أعلام هجر ، ج ١ ، ص ٤٣٤ .

وهذه الإشارة من السيد ناصر – إن صحت – فإنها لا تشير لانتماء السيد لمدرسة آل البيت الحكيمة فقط ، بل وحرصه على استمراريتها بتقليد أحد هؤلاء المراجع المنضوين جميعهم تحت سقف مدرسة آل البيت الحكيمة ، رغم أن ساحتنا الشيعية مليئة بالمرجعيات الكبرى في النجف الأشرف و كربلاء و قم و مشهد .

ولو قدر لتصانيف السيد ناصر الهاشم أن تخرج من سجنها إلى النور ، لانتفع بعلمها طلاب العلوم الدينية والعلماء على حد سواء و عامة المؤمنين . و لظهر جلياً انتماء هذا العالم الرباني لمدرسة آل البيت الحكيمة .

إلا أن الصحيح أيضاً أن أهالي القطيف و الأحساء تحديداً عرفوا مرجعية الحائري قبل إشارة السيد ناصر إليها ، و قبل مرجعية الشيخ بن قرين . وهناك العديد من القرائن الدالة على ذلك . و لا غرابة في ذلك فالشيخ احمد الأحسائي ، الذي عرفت مرجعيته في شتى الأقطار الإسلامية ، و طارت بشهرته الأفاق ، و التي جعلت من الشاه الإيراني فتح علي شاه القاجاري يخاطبه بتذلل طالباً منه القدوم لطهران . فلا يُصدق وهذا هو حال وشهرة الشيخ الأحسائي ، ألا يعرف أهل الأحساء عن الشيخ أحمد الأحسائي شيئاً و لا يتعلقوا بأفكاره و آراءه .

و رغم كل ذلك فقد كتب الدكتور عبد الهادي الفضلي بمجلة الموسم في ترجمته لوأله ، عن دخول مدرسة آل البيت الحكيمة للأحساء ، فحاول دفع هذه ( التهمة ) عن الشيخ الأحسائي ، و الصاقها بالميرزا موسى الحائري . مجلة الموسم العدد ( ٩-١٠ ) ١٩٩١ م .

و في ترجمته تلك ب ( مجلة الموسم ) لم يشر الدكتور الفاضل إلى أي صراع من نوع ما . إلا ما ذكر من أن والده قد دخل معركة الشيوعية و

الإشترابية و الرأسمالية في العراق ، ثم معركته مع الشيخية في الاحساء وخرج منها منتصرا ، رغم قصر مدة إقامته .

ولو صح هذا الصراع الوهمي - وهو غير صحيح - فلا ندري لماذا أشرك السيد ناصر والشيخ حبيب في هذا الصراع ؟ ربما حتى يقول الدكتور الفاضل من أن والده ( كان أقوى الثلاثة شوكة ، و أنفذهم في إصابة المرمى ، و يعود هذا إلى ما كان يتمتع به - رضوان الله عليه - من قوة شخصيته التي إتسمت بالشجاعة و الجرأة و الصراحة ، ومن مكانة عشيرته ( آل علي ) في الاحساء ، التي كانت لها الهيبة والنفوذ الرئاسي في هذه البلاد ) !

ولا نريد ان نناقش هذه العبارة الآن ، ولا نرغب في الدخول في مقارنة بين هؤلاء الثلاثة ، ولا نريد حتى أن نتساءل عمّن كان يمتلك النفوذ السياسي و الديني في الأحساء في ذلك الوقت . إلا إننا نحيل الدكتور الفاضل إلى ما كتبه هو في ترجمته من أن إقامة والده في الاحساء لم تطل سوى بضع سنين ، كان فيها متنقلا من وإلى البصرة . فكيف هزم ودمر الشيخية في تلك الفترة الزمنية القصيرة ؟ وكيف كان التدمير ؟ قتلا أم تهجيراً أم تكفيراً ؟ أم لا هذا ولا ذلك بل هزيمة فكرية من خلال المناظرات العلمية و الكتب و الرسائل ؟ وهل زال وجود أتباع مدرسة آل البيت الحكيمة من الأحساء ؟ لا ندري ؟

و نعود للتأكيد على أن مرجعية الحائري لم تعرف صراعاً دموياً لا في الأحساء ولا في باقي الأقطار الإسلامية التي تتبع مرجعيته . نعم كانت لمرجعية الحائري شمولية واضحة . وهذا الذي دعى المترجم الفاضل ب( مجلة الموسم ) يظن أن دخول مدرسة آل البيت كانت منذ بدء مرجعية الميرزا الحائري . وتناسى الدكتور الفاضل ، الشيخ أحمد الأحسائي ، وتناسى أيضاً الشيخ محمد حسين أبو خمسين أحد أبرز أعلام المدرسة ١٣١٦ هجري . بل و تناسى والده الشيخ حسين أبو خمسين ، الذي

اشترط على ولده الشيخ محمد أن يدرس عند السيد الرشتي تحديداً إذا رغب أن يسمح له بالسفر إلى العراق . أعلام هجر ، ج ٤ ص ٥٢٩ .

بل وتناسى الدكتور الفاضل عشرات الأعلام الأحسائيين ممن ينتمون لمدرسة آل البيت الحكيمية من أمثال الشيخ عبد الله بن إبراهيم العيثان . أعلام هجر ج ٢ ، ص ٢٢٠ . وكذلك الشيخ علي الأحسائي ، أعلام هجر ج ٢ ، ص ٣٠٨ . و الشيخ علي نقي الأحسائي ، أعلام هجر ، ج ٢ ، ص ٤٢٤ . و أخوه الأكبر الشيخ محمد تقي بن الشيخ أحمد الأحسائي ، أعلام هجر ج ٣ ، ص ٤٥٠ . و الشيخ حسين بن علي أبو خمسين ، أعلام هجر ، ج ٣ ، ص ٥١٤ . وغير هؤلاء العشرات الذين إنتهجوا نهج حكمة آل البيت قبل وبعد مرجعية الميرزا الحائري كما أشير إليهم في ( القطيف وملحقاتها ) ص ٥٤٧ - ٥٥٠ . و باستثناء بعض الأحداث الصغيرة التي حدثت في الأحساء إبان مرجعية الحائري ، أثناء إقامة الميرزا علي ، لم يحدثنا التاريخ عن صراع دموي بين أبناء المدرسة الأصولية الواحدة .

ومن أبرز سمات عصر الميرزا الحائري أيضاً تواجد مراجع عظام وعلماء كبار في النجف الأشرف و كربلاء وقم وفي سائر المراكز العلمية الشيعية ، أثرت هي الأخرى في واقع شتى البلدان والمدن الإسلامية . ورجع إليها الكثير من الشيعة من مختلف الأقطار الإسلامية . وعاش الحائري في كربلاء مجاوراً لسيد الشهداء ، تعلم على يدي أساتذتها ، وعلم ودرّس و أجاز العشرات من العلماء الأفاضل الآخرين . من دون ان ينقل لنا التاريخ معاركاً أو صراعات جرت بين مرجعيته ومرجعياتهم . ولا شك أن مراكز العلم تلك ، تعد الجذور الأساسية للحركات العلمية والفكرية التي تمور بها المدن الإسلامية الأخرى . ومنذ القرن الثاني عشر الهجري وحتى بدايات القرن الخامس عشر الهجري وتلك المدن المقدسة تعج بأبناء القطيف و الأحساء ، ومن سائر المدن الإسلامية ، فأخذوا منها علومهم ونقلوها إلى مدنهم . كما يشير المشيخ في (القطيف وملحقاتها) ص ١٣٩ - ١٤٩ .

إلا أن بعض الدارسين يرجع الحركة العلمية ، أو صلة البلدات الشيعية بمراكز العلم إلى ابعده من القرن الثاني عشر الهجري . وقد حدد الشيخ الحرز مقاييساً لمعرفة قوة وصدى الحركة العلمية في منطقة محددة . ومن جملة هذه المقاييس ما ( يعتمد بدرجة كبيرة على الإطلاع على عدد من العلماء المولودين فيها ، و المهاجرين منها ، وكذلك الأعلام النازحين إليها . كما يساعد أيضاً على اكتشاف عدد المتعلمين فيها من طلبة العلوم الدينية ) مجلة الواحة ، ٢٠٠٦ م

و يؤرخ الشيخ الحرز لملامح الحياة العلمية في الأحساء ببحث رقمي رائع، إتكأ على إحصاء عدد الكتب و أعداد العلماء المولودين و المهاجرين و المستقرين في الأحساء منذ عام ٨٠٠ هجري وحتى عام ١٣٧٥ هجري . وارتبط هذا العصر ، عصر النهضة العلمية في الأحساء و القطيف ، بوجود مراجع كبار في النجف الأشرف و كربلاء . لعل من أبرزهم بالنجف الاخوند الخراساني (١٢٥٥-١٣٢٩)، و العاملي الاصفهاني (١٢٢٤-١٣٠٨) ، و آل ياسين الكرخي (١٢٢٠-١٣٠٨)، و الميرزا الرشتي (١٢٣٤-١٣١٢) وهو من اساتذه الميرزا الحائري، و الشيخ الطهراني المعروف بالمدرس (١٢٥٣-١٣٢١) أستاذ الفقه و الأصول بالنجف و من أساتذه الميرزا الحائري ، و الشيخ الجواهري (١٢٣٣-١٣٣٥) ، و السيد اليزدي الطباطبائي (١٢٤٧-١٣٣٧) ، و الميرزا الشيرازي (١٢٧٠-١٣٣٨) ، و شيخ الشريعة الأصفهاني (١٢٦٦-١٣٣٩) من زعماء الشيعة الكبار و من قادة ثورة العشرين في العراق ضد الإستعمار البريطاني. و الشيخ المازندراني المتوفي سنة ١٣٣٩ . و غيرهم من العلماء الاعلام الكبار طوال القرنين الثالث و الرابع عشر الهجريين، ممن أشار لهم البهادلي في (الحوزة العلمية في النجف) ١٩٩٣ . و في مدرسة كربلاء تواجد علماء كبار منذ قدوم الوحيد البهبهاني إليها في القرن الثالث عشر الهجري. راجع كتابنا آخر الفلاسفة، ص ١٤٢ .

فشاطرت مدرسة كربلاء مدرسة النجف، في تأثيرها العلمي على باقي البلدات الإسلامية الشيعية . و من أعلام تلك الفترة الشيخ البهبهاني المتوفي عام ١٢٠٨ ، والشيخ آل عصفور البحراني توفي ١١٨٦ هجري، و السيد الطباطبائي توفي عام ١٢٣١ هجري ، والسيد كاظم الرشتي المتوفي ١٢٥٩ هجري ، والشيخ علي الشاهروردي ، و الشيخ حسن كوهر المتوفى هجري ١٢٦٦ ، و الشيخ محمد صادق البراد كاهي القفقازي المتوفى ١٢٨٥ هـ ، و الميرزا محمد باقر الاسكوثي توفي ١٣٠١ وهو والد المترجم له ، وكذلك الميرزا موسى الحائري - المترجم له - توفي ١٣٦٤ ، و السيد محمد علي الشهرستاني الغروي ( ١٢٨٠-١٣٤٦ ) بالإضافة إلى العديد من العلماء الكبار الذين تكتظ بهم الحوزات العلمية في كربلاء خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين. راجع( تاريخ الحركة العلمية ، ص ١٣٢-١٥١ ).

ونتيجة لهذا الزخم العلمي في مراكز العلم ، فتحت العديد من الحلقات العلمية، و الدروس الدينية، و ألفت عشرات الكتب والموسوعات في البلدات الشيعية ومنها القطيف و الأحساء. ويشير الشيخ المشيخ في (القطيف وملحقاتها) إلى أن نشوء مدرسة الإمامية في القطيف يعود إلى القرن الثاني عشر الهجري حيث استقر الشيخ حسين بن محمد بن جعفر الماحوزي البحراني في القطيف في حدود عام ١١٣٥ هـ قادمًا من كربلاء ج ١، ص ٤٤٦. ويضيف الشيخ المشيخ (أما في الأحساء فيعود تبلور مدرسة الإمامية إلى شخصيتين هما الشيخ محمد بن حسين أبو خمسين توفي ١٣١٦، و السيد هاشم السلطان الموسوي ، توفي ١٣٠٩ وهاتان الحلقتان كانتا في بداية القرن الرابع عشر الهجري) ج ١ ، ص ٤٤٩ .

وهاتان الشخصيتان عرفتا بانتمائهما و لانهما لمدرسة آل البيت الحكيمة التي أسسها الشيخ الأحساني . و ذلك قبل تبلور مرجعية الميرزا الحائري بوقت طويل . إلا أنه من المهم القول أن عصر الحائري الذي ضم عشرات العلماء الكبار ، استطاع الحائري كما تشير العديد من الدلائل



التاريخية أن يكون واحداً من هؤلاء النجوم اللامعة في سماء الفكر الإسلامية . دون أي صراع دموي أو مسلح أو حتى صراع عثي بين مرجعيته ومرجعيات هؤلاء الأعلام ، التي جابت أو سبقت مرجعيته بقليل أو حتى أعقت مرجعيته بسنين قليلة .

بل لا يبدو لنا من النصوص القليلة التي بين أيدينا إلا كل حب و تأدب بين هؤلاء المرجعيات الشيعية الكبار . و عندما أراد الميرزا الحائري الإشارة الى أساتذته ابنه الميرزا علي في إجازته ، ذكرهم بألقابهم محترماً لهم ومعظماً مكانتهم ( من جملتهم عميدهم الفاضل النحرير الصمداني ملا كاظم الخرساني ، و العالم الكامل المهذب ملا فتح الله الملقب بشيخ الشريعة الأصفهاني ، و العالم النبيل و السند الجليل السيد مصطفى الكاشاني ) الحائري ، الإجازة بين الإجتهد والسيرة ، ص ٥٠ .

كما أن الميرزا الحائري يخاطب محاوريه ، و مخالفه في الرأي بعبارات تثير الدهشة وتثير الإعجاب بين متحاورين حول فكرة علمية . يقول الحائري مخاطباً الميرزا محمد حسين الشهرستاني في مقدمة ( إحقاق الحق ) والذي لم يشر لإسمه احتراماً له ، كلاماً ينم عن تأدبه مع محاوريه ، معترفاً بمكانتهم العلمية ( إنني ما رأيت فيما وجدت مما كتبوا و ألفوا و أثبتوا و صنفوا أحسن و أمتن مما ألف بالفارسية العالم العلام ، و الفاضل القمقام جامع المعقول و المنقول ، حاوي الفروع و الأصول ، و الفاضل النحرير المعاصر ، طيب الله مرقد الطاهر ، ولم أصرح باسمه الشريف ، احتراماً و تعظيماً لمقامه المنيف لانه - ره - لم يتجاوز الحدود و القواعد ، و راعى بنظره جانب الحق و الإنصاف في الموارد ) ص ٣٤ . و يخاطب الشيخ محمد آل عيثن الأحسائي ( العالم الماهر ، و النور الزاهر ، علم الأعلام ، المؤيد من الملك العلام ، أويس عصره ، و سلمان دهره ، نادرة الأوان ، و عين الإنسان ، شيخي و سندي و أستاذي محمد بن عبد الله بن علي بن أحمد بن عيثن الأحسائي ) الإجازة ، ص ٥٩ . و يخاطب الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي : ( المولى الأفخم ، و الطود الأشم ،

محور رحى التحقيق ، و مركز دائرة التدقيق ، العالم العلام ، و الحبر الفهام ، المؤيد بالتأييد الرباني ، و المسدد بالتسديد السبحاني ، فريد العصر و الزمن ، و الشيخ المعتمد و المؤتمن ، أخي حقاً ، ووليي صدقاً عبد الله بن معتوق الخطي الحائري ( الإجازة ، ص ٦١ .

و إذا كانت تلك عبارات وكلمات الحائري لعلماء عصره ، فإنهم بالمقابل و ضعوه في المكانة العلمية التي يستحقها ، و خاطبوه بألفاظ العلماء الكبار و وصفوه بها . و يكفي أن نشير إلى كلمة اثنين من أكابر علماء عصر الحائري وهما الشيخ فتح الله شيخ الشريعة الأصفهاني ، و الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي .

فالشيخ شيخ الشريعة الأصفهاني يصف الميرزا الحائري بأنه (حجة الإسلام والمسلمين، وعماد الملة و الدين، شيخ الفقهاء والمجتهدين، العلامة الحاج ميرزا موسى الآغا الأسكوني الحائري، متع الله المسلمين بطول بقائه، و نفع الله المؤمنين بأنوار فيوضاته) الأنوار اللامعة، ص ١٦ .

أما الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي وهو من أكابر علمائنا المجتهدين فقد خاطبه في إجازته له بخطاب لا يليق إلا بكبار العلماء و الفقهاء من الشيعة . و يصف الشيخ بن معتوق طلب الحائري له بإجازته ، بأنه أمر يجب إنفاذه : ( وحيث صدر الأمر اللازم الامتثال من جانب الأخ الأكرم ، بل المولى الأفخم ، و الركن الأعظم العالم العيلم العلم ، و البحر الزاخر الخضم و الطود الشامخ الأشم ، مشيد أركان معالم الدين ، و المحامي عن شريعة سيد المرسلين و المقتفي لآثار الأئمة الطاهرين مستخرج جواهر العلوم من الكنوز بفهمه الوقاد، و مستنتج غوامض المعاني من الرموز بصافي ذهنه الوقاد ، العارف الحكيم ، و الفقيه العيلم ، الشيخ الجليل ، و الفاضل الكامل النبيل ذي المآثر و المفاخر ، الحاج ميرزا موسى ) مجلة الواحة ، عدد ٤٢ ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٥ .

تلك شهادتين من علماء عصر الميرزا الحائري ، تدلان على حالة الوثام والسلام بين مرجعيته ومرجعيات عصره . و تدلان على مكانته العالية بين هذه المرجعيات . ونستطيع الجزم أن تلك الألقاب لا تعطى إلا للفقهاء الكبار ، و لا تستخدم إلا لأكابر علماء الشيعة وفقهائها . ولو قدر لنا ان نتفحص العديد من الوثائق ، والإجازات ، لأصبح بين يدينا العديد من العبارات المشابهة لما أوردنا .

### ابن الأمير :

دأب المترجمون القلة الذين ترجموا للميرزا الحائري ، التذكير على فارسية أسرة الإسكوثي الحائري القادمة من أسكوء قبل قرنين من الزمن . ولا ضير في ذلك . إلا أننا نرى في الميرزا الحائري علماً من أعلام القومية العربية . فجزور شخصيته الأذربيجانية لا تلغي عروبه الأصيلة أيضاً ، ولا تصطدم معها ولا تعيبها . فالحائري ليس عربي المولد و اللسان ، ولا عربي المنشأ و الوفاة فقط ، بل هو عربي الفكر و التفكير أيضاً . و إذا أردنا الدقة ، فالحائري إسلامي المنهج ، و إنساني المعرفة . أما الذين يفهمون من القومية العربية أنها الانتساب لإحدى البيوتات القرشية ، فهو بهذا المعيار عربي القومية لإنتسابه للبيت العلوي من جهة أمه . فتكون بذلك الدماء التي تجري في عروقه قد خالطتها دماء عربية علوية طاهرة . و بذلك إستحق لقب ابن الأمير العربي - الميرزا- من هذا الباب .

إلا أننا نرى أن القومية – أي كانت – ليست من العنصرية في شيء . ولا نجد فيها أي نوع من التعصب الأعمى من شيء . لأن أساس كل قومية إنساني عظيم وسامي . ولكن العربية تفخر بأن تضم الميرزا الحائري إلى أعلامها وأحد علمائها الكبار ، ومن أكابر مصلحيها الرواد . وإذا زعمنا أن الحائري عربي بكل خصائص العروبة ، و بكل شمائلها ، و نقائنها ، فلا أظننا نبالغ في ذلك أبداً .

ولعل أول ما يدلنا على عروبة الحائري ولادته على أرض عربية ، فأول ما أبصر ، أبصر أرضا عربية ، وحدث في سماء عربية ، و تنفس هواءً عربياً . أما أول الكلمات التي طرقت أذنيه فهي كلمات الأذان والإقامة العربية . و نطق أول ما نطق بكلمة الله جل جلاله بحروفها العربية المهيبة . وعندما بلغ الطفل الصغير الخامسة من العمر ، فإن أول كتاب تعلمه هو القرآن الكريم ( كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) فصلت ، آيه ٣ . و بذلك أصبح عربي اللسان ، يخاطب أقرانه الصغار في حارات كربلاء و أزقتها بهذه اللغة . و يتعلم بها ويُعلم بها .

ولم ينسلك يوماً عن لسانه العربي ، فقد عاش طوال حياته على أرض عربية ، يتعلم بلسانها العربي في حوزاتها العلمية ، ويكتب بحروفها جواباته و يرسم بكلماتها كتبه ، و تنتظم بعباراتها أفكاره . يقول ابنه الميرزا علي في وصف عروبة تعليمه : ( ولد والدنا المذكور أعلى الله مقامه في كربلاء في الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ( ١٢٧٩ ) هجرية ولما بلغ خمساً من السنين أتى له والده بمعلم يقرئه الجزء و القرآن فختمها في خمسة أشهر ، ثم قرأ بعض الكتب الفارسية ، ثم أتوا له بمعلم آخر يعلمه الصرف و النحو و هكذا إلى ان جعله والده عند العالم الفاضل ملا علي أصغر بن ملا بابا ، فقرأ النحو و المنطق و علم المعاني و البيان و علم البديع ) إحقاق الحق ، ص ٢٣ .

ولم يكتف عند حد التعلم بالعربية ، أو الأخذ منها . بل هو العربي الذي نقل للعربية الكثير من أفكار الفارسية و علومها لعل أبرزها ترجماته في ( إحقاق الحق ) و كتاب ( أصول العقائد ) للسيد كاظم الرشتي الذي نقله للعربية ، بأسلوب الأدباء الكبار ، و بلغة العلماء العظام عام ١٣٣٧ هجري .

وليس أدل على انتمائه العربي إلا خضوع القبائل العربية له ، و إصرارها على مرجعيته حتى قبل ان يعلنها بعد وفاه والده عام ١٣٠١ هجري وعمره إثنين وعشرين سنة ، كما يشير السيد الطالقاني ( فتعصب له عرب كربلاء الذين كانوا يرجعون إلى أبيه في التقليد ، وهم أهل السلامة ، و الوزن ، و الطهامزة ، و بنو سعد ، و أهل باب الخان و باب الطاق ) ص ١٩٧ . و غير هؤلاء من القبائل العربية في شتى أنحاء العراق .

أما حادثة الصلاة في الحرم الحسيني الشريف – التي أشرنا إليها – فهي دلالة على عروبه أيضاً . فقد عالجه الحائري بأسلوب حكيم ، جنب الحرم الحسيني من الهتك ، إلا أن مناصريه عبروا عن موافقه تلك بأنها إنكسار للعرب والعروبة . وكانوا يرددون على مسامعه ( كسرت شوكتنا و صرت سبباً لانكسار العرب و ذلهم ) إحقاق الحق ، ص ٢٥ . ولم يدر بخلد هؤلاء أن الميرزا الحائري ليس عربياً .

وما أن عاد إلى كربلاء من النجف حتى رجعت إليه القبائل العربية في تقليدها ( وقد رجع إليه في التقليد كثير من العرب و العجم في الكويت و البصرة و نواحيها ، و الأحساء و كربلاء و تبريز و أطرافها ) الطالقاني ، ص ١٩٨ .

فالميرزا الحائري عربي في مولده و تعليمه ولسانه . عربي في أنصاره و عربي في مقلديه ، و عربي في انتصاراته و (انكساراته) أيضاً .

ولم يفهم الحائري من القومية على أنها تعصب أعى ، و لا مصالح خاصة . ولم يفهم من القومية الحصول على منصب أو جاه أو سلطان . بل رأى في القومية ذلك الخير الإنساني الذي يعطيه للآخرين . و رأى في العربية تحديداً ، منهجاً لتفكير عربي أصيل في إسلاميته ، و قويم في

شيعيته . فبادر للدفاع عن نهج و صاحبه . رأى في الأول منهما خيراً عميماً ، وعلى الثاني ظملاً كبيراً .

وفي نهج الحائري على خطى مدرسة آل البيت الحكيمة ، دليل على عروبتة وعربيته ، ودليل على أن بهذا النهج من الخير الوفير للقومية العربية ، مقدار ما فيه من الخير للأمة الإسلامية جمعاء . مؤكداً دوماً على وحدة الصف ، وجمع الكلمة ، ونبذ العداوة و البغضاء مؤثراً الصدق في القول و العمل على جاه سريع الزوال . و حريصاً على حقن الدماء ، و وحدة الكلمة بدلاً من نصر خادع . ففي كل ما يكتب و يفعل . يكرر الميرزا الحائري ( حرصاً مني لجمع الكلمة ورفع النزاع الموهوم من بين طائفتي الأمة ، وعملاً بقوانين الإسلام المقررة ، من حمل أقوال المسلم كأفعاله على الصحة والخيرة ) إحقاق الحق ، ص ٦٣١ . فهكذا الحائري يقدم رضا الله سبحانه وتعالى على رضا الناس ، موقناً أن صلاح ذات البين و صلاح الأمة – بكل طوائفها إن صح التعبير – هو خير من عامة الصلاة و الصيام .

وكتب الحائري كل كتبه وهمه الإصلاح الديني و الاجتماعي بين المسلمين كافة . و لذلك فهو بحق العربي الكبير رائد الإصلاح في عصره . حيث استطاع نزع فتيل الأزمة ، وأنهى وإلى الأبد مسلسل الصراع الدموي ، بين أبناء الأمة الواحدة . وهذا النهج هو فعل الحائري الذي يشير إليه في معظم كتاباته بوضوح كما مر معنا . إلا أنه يؤكد هذا المنهج بقوله ( لم يكن لي مقصد من تسويد هذه الصفحات ، و نشر هاتيك المقالات ، بتكرير العبارات و البيانات إلا الإصلاح ما استطعت . وما توفيقي إلا بالله ) إحقاق الحق ، ص ٦٣١ .

هذا النهج الإصلاحي العربي في القول و العمل ، قطعاً لم يخص به العرب دون غيرهم ، ولم يستغل أعجمياً لصالح عربي آخر . بل عمل جاهداً بما تسمح له طاقاته ، وبما يسمح له زمانه و مكانه من التقريب بين

أبناء هذه الأمة الإسلامية الواحدة . بالكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، خائفاً من أن تخرج من شفثيه كلمة قاسية أو عبارة مؤلمة مع مخالفيه في الرأي . فتراه يقول : ( ما أردت الطعن أو التعرض أو المقابلة مع أحد . لا وحق من رفع السموات بلا عمد ، وإنما كتبت ما كتبت تنبيها للغافلين ، وإرشاداً للجاهلين ، قربة إلى الله تعالى ) إحقاق الحق ، ص ٦٣١ .

و تلك من شمائل القومية العربية ومن شمائل كل قوميات الشرق ، ومن مبادئ الدين الإسلامي الحنيف . أما الذين نهجوا غير هذا النهج العربي الأصيل ، فهم أعداء قومياتهم ، بمقدار ما هم أعداء ذواتهم و مجتمعاتهم بل ودينهم .

و أخيراً يمكنك الإستدلال على عروبتيه ، في آثاره الفكرية . فجلها كتبت بحروف عربية مشرقة . بدءاً برسالته العملية باللغة العربية ( لطائف الدرر في الفقه ) و التي يبلغ عدد صفحاتها ٤٨٨ صفحة ، مروراً بكتاب ( درر الأحكام في بيان الحلال والحرام ) و ( رسالة مناسك الحج ) وانتهاء بكتابه الذي عرف به ، وعرفت به أسرته من بعده ( إحقاق الحق ) وكلها باللغة العربية .

و ختم ابن الأمير العربي حياته الجهادية على أرض عربية . فكما أبصر النور لأول مرة في كربلاء المقدسة ، مدينة الآباء ، ولقب بالحائري ، لالتصاقه بحائرها المقدس ، أغمض عينيه للمرة الأخيرة في كربلاء أيضاً . و بذلك يكون الله سبحانه وتعالى قد استجاب لدعائه في أن يتوفى على هذه الأرض العربية المباركة كما ولد عليها ( وأنا ولدت في السفرة الثالثة في هذه البلدة الطيبة ، و اسأل الله المدفن فيها أيضاً . ان شاء الله ) الإجازة بين الاجتهاد والسيره ، ص ٦٨ .

## جغرافية المرجعية

للمرجعية – أي مرجعية – صفتان جغرافيتان . جغرافية المكان وجغرافية القلوب. تتحدان أحياناً ، و تتباعدان أحياناً أخرى . و للمرجعية أسماء و أشكالاً متعددة ، فلا يجب حصرها إذن في مرجعية أحكام الطهارة والنجاسة . فالإنسانية عرفت مرجعيات عدة ، في السياسة والأدب و الفكر ، بل و مرجعيات في الحروب أيضاً . إلا أن مرجعيات الدين ، هي الأكثر نقاوة ولمعاناً وبقاءً .

جغرافية المكان بكل سطوتها ، وهيبتها ، وجلالها . جغرافية تتسع فتبتلع كل الجغرافيات الأخرى . و تضيق أحياناً فلا يتسع مكانها إلا لذاتها . أما جغرافية القلوب ، فهي جغرافية لا حد لها ، لأنها أوسع من المكان ، لأن المكان داخل فيها و جزء صغير منها .

ولكن أي الصفتين أطول تأثيراً ، وأبقى أثراً في نفوس تابعيها ؟ جغرافية المكان أم جغرافية القلوب ؟ .

لا شك أن هاتين الجغرافيتين ، قد تتحدان حيناً ، و تتباعدان حيناً آخر . طبقاً لعوامل و ظروف التاريخ و الزمان . و الناس قد ينجسون بالأولى ، و يستسلمون لسطوتها على المكان ، و تمددها فيه . لكنهم يخشعون لجغرافية القلوب ، لأنها تتخطى المكان و الزمان و عوامل التاريخ . لذلك فهي تدوم في أذهان الناس ، وفي أفكارهم و مشاعرهم . لا تنتهي بموت المرجع . ولا تنقوض بغياب المرجع . لأن بنائها من الداخل . وكم من أديب ، ومفكر ، و شاعر ، و عالم رحل و لم ترحل جغرافية مرجعيته . وكم من شاعر بلاط ، و أديب مرتزق ، ومفكر مأجور ، و فقيه سلطان اكتسحت مرجعيته المكان . فلما مات ، ماتت مرجعيته معه .



أما جغرافية القلوب ، فإن سطوتها الفكر ، والمنطق ، والحب ، والإيمان ، تاركة لجغرافية المكان سطوة التصفيق و التبجيل المصطنع . و حيناً تستعين جغرافية المكان بسيف يؤازرها ، و رمح يدافع عنها . ومع كل ذلك تموت مرجعية المكان سريعاً . و تخلد مرجعية القلوب دون سيف يؤازرها أو رمح يدافع عنها . وهناك مرجعيات تتراوح مرجعياتها بين هاتين الجغرافيتين . وهناك مرجعيات تمتلك بالطبع جغرافية المكان والقلوب معاً . وهكذا مرجعية الميرزا الحائري . أمتلك سطوة المكان و سطوة القلوب معاً . دون رمح مرفوع أو سيف مشهور .

و ليس أدل على سطوة جغرافية المكان لمرجعية الميرزا الحائري إلا أنه ( صار مرجعاً للعرب والعجم ، فرجع إليه أهل الكويت وقسم من أهالي البصرة و نواحيها ، ومن أهل الاحساء ، وقلدته أهالي تبريز وأطرافه من أسكوء وميلان وخسرو شاه والقرى التي حولها ، وأهل كوكان و دستكير وأطرافها ، ومن أهل طهران ومشهد الرضا عليه السلام. والبلاد التي حوله أمثال قوجان و شيروان وغيرها . و كذلك البلدان التي هي الآن تحت سيطرة الشيوعيين كبلاد تركستان وتاجيكستان ( بخارا . سمرقند . طاشقند ) وبلاد القوقاز من قره باغ ، وكذلك منطقة أورباد وبادكويه وعشق آباد ) أجوبة المسائل ، ص ٢ .

تلك رقعة جغرافية مكانية كبيرة إحتلتها مرجعيته رغم تعدد المرجعيات في عصره كما أشرنا . إلا أن مرجعية الحائري استطاعت أن تخطف الأبصار ، و تتجه إليها العقول والقلوب معاً .

وبالإضافة إلى جغرافية المكان التي إحتلتها مرجعيته ، فقد إحتلت مرجعيته جغرافية القلوب أيضاً . فمرجعيته لم يخلد لها البقاء في بطون الكتب فقط . بل إحتلت مرجعيته مكاناً واسعاً في قلوب المؤمنين من محبيها ومناصريها ومؤيديها . وما زالت القلوب تهفوا إليها والألسن - في مدن الاحساء و الكويت و أذربيجان وغيرها من مدن المناطق الإسلامية

- تتذكر مرجعيته وتلهج باسمه ، وتكن له الحب و الإعتزاز رغم مرور أكثر من قرن على بزوغ مرجعيته . فأهالي الكويت يتذكرون أيام إقامته فيها ، و يتذكرون أعماله الجليلة التي قام بها . و يرددون العديد من كراماته . راجع كتاب (من خطى خادم الشريعة ) ، ص ٦١ . و كذلك أهل الأحساء الذين مازالوا يحكون لأجيالهم عقب مرجعيته و سيرة وكرانه الذين بعثهم إليها . ولا غرابة في ذلك فالميرزا الحائري عربي النهج ، يتتبع خطى حكمة آل البيت عليهم السلام التي نشر لواءها الشيخ الأحسائي . ولعل شخصية الشيخ أحمد الأحسائي أكبر و أشهر شخصية أحسانية يدين لها الأحسائيون بالولاء والحب . فلا تعرف الأحساء ولا يعرف الأحسائيون شخصية أحبوا كما هي شخصية الأحسائي . وما زال الأحسائيون إلى يومنا المعاصر يتبركون بذكر الشيخ الأوحده ، ويأتون في مسجد الشيخ الأوحده ، ويزورون بيت الشيخ الأوحده بالمطيرفي . لا فرق في ذلك من هو داخل في دائرة التقليد لهذه المدرسة ، أو من هو خارج دائرة التقليد لمراجع هذه المدرسة طبقاً للتصنيف الإجتماعي السائد . فقد بقي الحب والولاء لمنهج حكمة آل البيت هو القاسم المشترك الذي يجمع الأحسائيين . و في مدن الأحساء و القطيف و الكويت و إيران و العراق وباكستان و الهند كلنا متساوون في حب هذه المدرسة .

و لننقل بعضاً من شهادات هؤلاء العلماء و المشائخ و الكتاب الأفاضل الذين يصنفون من خارج دائرة تقليد أعلام هذه المدرسة . ومع ذلك كتبوا بصدق ، وأنفقوا بسخاء لطباعة ما كتبوه ، و تفانوا في نصره مدرسة آل البيت الحكيمية التي رأسها شيخنا أحمد الأحسائي .

فعندما يصف الشيخ محمد علي الحرز حب الأحسائيين للشيخ الأحسائي ومنهجه ، يقول في مقدمة ( الحقيقة المحمدية ) واصفاً الأثر الفكري و النفسي التي خلفها الشيخ الأحسائي في قلوب الاحسائيين ( فهو الشخصية الوحيدة التي لا زالت تعشعش في قلوب الأحسائيين من خلال رؤاه ومنهجه الفكري ، الذي خطه قبل أكثر من قرنين من الزمن . وهذا

ليس على المستوى المحلي بل تخطاه لمناطق و دول مختلفة ، مما يدل على العمق الذي تسنمته شخصيته (ص ٢ ، ١٤٢٧ هجري .

و يكتب السيد محمد حسن الطالقاني عن مكانته الاجتماعية وشهرته قائلاً ( تألق نجم الأحسائي فتلقفته الأوساط العلمية بقبول حسن ، وعرف بغزارة العلم وسمو الفكر وعلو الثقافة و أشير إليه بالأنامل . وأجمع الكل على ورعه و تقواه و ترسله و زهده في الزعامة الدينية و متع الحياة كافة) ص ٩٣ .

أما السيد سلمان هادي آل طعمه فيقول ( و لعل من أبرز هؤلاء المفكرين و الفلاسفة الكبار الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي أحد الشخوص المميزة و الشخصيات العلمية المثيرة للجدل ، نال قسطاً وافراً من العلوم ، فكان زاهدا عازفاً عن الدنيا ، و لكنه لا يألوا جهداً في الذب عن حياض الإسلام و المسلمين ، فكان مرشداً هادياً ، وكانت آثاره على كثرتها تدور في الموضوعات الفكرية المختلفة ، تكاد تكون دليلاً على رقيه إلى مدارج العلى و السؤدد ) آخر الفلاسفة ، ص ٥

و تفرد مجلة الواحة في عددها الثالث و الثلاثون من السنة العاشرة عام ٢٠٠٤ ملفاً متكاملًا عن الشيخ أحمد الأحسائي ومدرسته الحكمية و أعلامها ، يحتوي على العديد من الدراسات المحايدة . بعيداً عن الاستقطاب المرجعي .

و لا بأس من الإقتباسات القصيرة من دراسات هذا الملف الهام عن الشيخ الأحسائي لأنه ( كان مشروعاً ثقافياً متحركاً أينما حل و ارتحل في مختلف المدن و القرى التي مر بها ليخلق مشروعاً فكرياً ثقافياً فيها ) يوسف الحسن ، ص ٢٢

وعن قرية الشيخ الأحسائي المطيرفي يكتب عبد الله الشايب ( إن من حسن حظ المطيرفي أن تدخل التاريخ عبر بوابة فكرية كما دخلته عبر عذب الماء وغلاء التمرور . و ليتجاذب اسمها بين بلاد الهند و فارس مروراً بالخليج و وادي الرافدين لتصل إلى فرنسا وتعبّر المحيط إلى العالم الجديد في أمريكا ) ص ٢٥ . ليس إلا لأن الشيخ أحمد الأحسائي ولد وعش فيها .

أما العطاء العلمي للشيخ الأحسائي فالحديث عنه يجرنا للمبالغة إلا أنه (لا يعد من المبالغة إذا قلنا أن الشيخ الأحسائي استطاع أن يفرض شخصيته في النفسية الأحسائية كما لم تفرضها أي شخصية أخرى ، كما حقق من الشهرة و التأثير الواسع في محبيه تصل إلى التقديس في بعض الأحيان لدرجة تفوق التصورات ، وهذا ليس على المستوى المحلي فقط بل تجاوزت شخصيته و فكره الحدود الجغرافية و الإقليمية لمنطقته لتصل إلى مختلف مناطق الخليج وإيران والعراق ، بل وحتى الدول الغربية بين أهل التخصص من أمثال هنري كوربان وغيره حتى أصبحت كلمة (الأوحد) و ( الشيخ ) علم عليه في بعض المحافل لشدة حضوره بينهم) محمد علي الحرز ، ص ٢٦ .

و إذا كان أغلب المترجمين قد تعمدوا تشويه و تجاهل سيرة الشيخ وأعلام مدرسته- كما مر معنا في الفصل السابق - ، فهناك من المنصفين ممن قاموا بهذه المهمة من أمثال أحمد المحمد صالح صاحب كتاب (أعلام مدرسة الشيخ الأوحد) فيكتب ترجماته عن أعلام هذه المدرسة لتكون ملهمة للأجيال القادمة . ويكتب اعترافاً منه بعطاء هؤلاء العلماء الكبار ، و إيماناً منه بالحركة العلمية المستمرة التي فجرها الأحسائي فيصف ترجماته هؤلاء بأنها ( محاولة لكشف غطاء مستور عن الطاقات العلمية التي ساهم الشيخ الأوحد الأحسائي في إعدادها و تقديمها لعالم التشيع ، و عرفاناً منا بجميل هؤلاء علينا ، و إحياءً لذكراهم ، قدمنا هذا الكتاب مع قلة المصادر) ص ٩

و ينقل الميرزا عبد الرسول الحائري في ( التحقيق في مدرسة الأوحى ) عشرات الشهادات من المراجع والعلماء والكتاب في جلاله ومقام الشيخ الأحسائي ومدرسته . و العديد منها لمن هم من خارج التقليد لمراجع هذه المدرسة . ٢٠٠٤ م .

أما أناشيد المديح و الإعتزاز بهذا النهج و بأعلامه ، فلا يمكن إحصاؤها أو سردها . ويكفي ما يردده اليوم أهالي الأحساء من مديح علماء هذا النهج على لسان الرادود الحسيني السيد هاشم الشخص - وهو أيضاً من خارج دائرة التصنيف للتقليد لهذه المدرسة - في شريطه المسجل (تابعينه) مدحاً لأعلام هذه المدرسة ، وما دفعه إلى ذلك إلا الحب والإعتزاز بكل ما هو أحسائي شيعي . ومن ثم رثاؤه الشعبي الحار في شريطه الآخر ( مودعينه ) .

ولا ننسى مواويل شاعر آل البيت جاسم الصحيح في رثاء الميرزا حسن ابن الميرزا موسى الحائري و مدرسه الشيخ الأوحى في ( أعشاش الملائكة )

غاف .. وكل العاشقين أفاقوا  
ما هكذا يتوحد العشاق !!  
هتف النعي فجئت أقحم ريشتي  
في خلوة لك ملؤها الإطراق  
و اهتزت الذكرى بكامل جمرها  
في الحبر فاحترقت بها الأوراق  
يا راحلاً ملأ المكان جلاله  
فكأنها لحضوره مصداق  
ما كنت في التابوت وحدك إنما  
كان العفاف هناك والأخلاق

فما الذي جعل شاعر كبير يقحم ريشته بصمت مهيب في رثاء هذا المولى الجليل لولا الحب الذي ملأ قلوب الأحسائيين لهذه المدرسة وأعلامها .

وهناك العشرات من الشهادات و القصائد المتأخرة التي قالها ونظمها محبي مدرسة آل البيت الحكيمة ، ممن لا يصنفون من مقلدي أحد مراجع مدرسة آل البيت الحكيمة . إلا أن الحب والاحترام وكذلك الإنصاف هو الذي دفعهم لكتابته ما كتبوا ، و دفعهم لإنشاد ما أنشدوا . لأننا جميعاً تحت لواء نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام . و تلك هي جغرافية القلوب التي كان الميرزا موسى الحائري من أبرز أعلامها .

و بالطبع فإن الشعراء المحبين للميرزا موسى الحائري أنشدوا فيه وفي نهج مدرسة آل البيت الحكيمة عشرات القصائد ، منذ زمانه إلى هذا الزمان . يقول السيد الخطيب علي الهاشمي في تقریض كتاب ( إحقاق الحق ) :

كتاب حوى من بليغ الكلام  
وحكمة حبر بطياته  
لعمراء ( إحقاق الحق ) بدا  
ينير الطريق بمشكاته  
تجلت براعة ( موسى ) به  
كمعجز موسى وآياته  
فتلك عصاه إذا ما أتى  
لأمته بكتاباته  
فقلت و قد راق تاريخه :  
( أرى جاء موسى بتوراته )

و إذا ما رثى الشاعر علي الهاشمي الميرزا الحائري ، فتجد العاطفة الصادقة ، و الولاء التام . ففي شعر الخطيب السيد الهاشمي بساطة الكلمة و حرارة الرثاء ، و مرارة الفجيرة بعد وفاة الميرزا الحائري :

لقد فقد الأنام بفقد (موسى)  
فنون العلم و الفضل العميم  
و ناح ( الحائر ) السامي عليه  
بقان الدمع يذريه سجين  
فهذا مصابه الأطواد شجوا  
وهز نعيه ركن الحطيم  
و رضوان بها أرخ : ( ينادي  
ثوى موسى بجنات النعيم )

وإذا ما ترجل هذا المرجع الكبير ، فإن في ترجله و وفاته ، وحملة للتراب للكثير من المؤمنين . كأنما هو حمل للشرع و القرآن معاً . أما الحزن و الأسى و التفجع فإنه لن ينتهي على مدى الدهر . و هكذا قال الشاعر الشيخ محمد سعيد ابن الشيخ موسى الخطيب في رثائه المر للميرزا الحائري:

لقد قضى من كان يرعانا  
( موسى ) وفيه الدهر أرزانا  
و صحت لما حملته الورى  
حملتموا شرعاً و قرآنا  
فقدانه أورت حتى الفنا  
قلوبنا همأ و أحزانا  
اسكنه الله جناته  
فأرخوا : ( قرأه رضوانا )

وبقي اسم الميرزا موسى الحائري يتردد دوماً على السنة الكتاب و الشعراء عند ذكر مدرسة آل البيت الحكيمة أو عند ذكر أحد أعلامها . فهوى قطب الرحي في هذه المدرسة . وهو صاحب مرجعية المكان والقلوب معاً . ولم يستطع الأحسانيون نسيانه أبداً ، فمرجعيته لم تفن وتزول بوفاته . وفي القصيدة الشهيرة للخال الشيخ عبد الله الوصيبي التي يحيي فيها ميرزا علي إبان قدومه من الكويت للأحساء ، نجده يردد اسم الميرزا موسى الحائري كأحد أبرز علماء هذه المدرسة. مجلة الواحة، العدد التاسع والثلاثين ، ٢٠٠٥ م .

أرى النور من تلقاء ( كاظمة ) يسري  
 فيا حبذا مسرى فأشرق في هجر  
 وأصبح ثغر الدين بالبشر باسماً  
 بها حيث البرق بالكوكب الدري  
 يشرفها أكرم به من مشرف  
 فلم ترى إلا كل مبتسم الثغر  
 ( علي ) ابن من حق الحقائق و احتوى  
 لعلم ابن زين الدين أحمد في الأثر  
 سمي كليم الله ( موسى ) فيا لها  
 أصول نشأت منها فروع كما الدر

و يكرر الخال الشيخ عبد الله اسم الميرزا موسى الحائري في أغلب قصائده ، حتى بعد وفاته بزمان طويل . لأن ذكرى الميرزا ومرجعيته لم تنزل باقيه في قلوب المؤمنين :

هنيئاً لـ ( هجر ) بهذا الفخار  
 و هذا العلو وهذا الوقار



وحق لها طرباً أن تجر  
ذيولاً على كل الديار  
فكيف وقد أصبحت مظهراً  
لدين الإله بدون إستتار  
سمي ابن (موسى) علي الرضا  
محق الحقائق تاج الفخار  
(علي بن موسى) أبو جعفر  
مزيل الشكوك ومردى البوار

أما الشاعر المجيد المعاصر حسن البانر ، فهو الآخر يرثي الميرزا حسن الحائري ، ولا يشذ عن غيره من الشعراء الآخرين الذين تعلقوا باسم الميرزا موسى ، فراحوا يرددونه في معظم قصائدهم . كما في قصيدته الولائية في كتاب : ( فكر الإمام المصلح ) ، ص ٨٠ .

أجمتني يد المنون لجاما  
(ومن الصمت ما يفوق الكلام)  
عقد الخطب منطقي ولساني  
وأسى مهجتي وقت العظاما  
بارك الله في حياة (ابن موسى)  
زاده الحزن قوة واعتزاما  
أيها الحاملون للقبر نعشاً  
يحمل الزهد و التقى و الذماما  
لا تهيلوا على (ابن موسى) تراباً  
بل أكاليل من زهور الخزامى  
لو يصلي عليك ألف صلاة  
أنت عند الصلاة تبقى الإماما

ولا تكف السنة الشعراء في كل مناسبة ، ومن كل تيار ، وفي كل زمان ، من ترديد اسم الميرزا موسى الحائري. و الإشادة بشخصه ، والتعلق بنهجه . ولا غرابة في ذلك طالما أن مرجعيته ونهجه ومدرسته قد تعلقت بها القلوب . ولا يمكن الإشارة إلى كل نتاج الشعراء و تعلقهم بالميرزا موسى و بمدرسته و أبناؤه . فهذا من العسير تحقيقه ، وقد يخرجنا عن صلب بحثنا هذا . ويمكن الرجوع إلى كتاب ( قرنان من الاجتهاد والمرجعية ) للميرزا عبد الرسول الحائري ، وكذلك إلى كتاب ( من خطى خادم الشريعة ) للشيخ عبد الجليل الأمير وغيرهما ففيهما وفي غيرهما من الكتب عشرات الشهادات والقوائد الأخرى .

### مرجعية الحكماء :

و إذا كانت مرجعية الميرزا الحائري ، هي مرجعية المكان و القلوب معاً . فما الذي أعطاه الميرزا الحائري للناس حتى تعلقوا به هذا التعلق الكبير ؟ ألم يكن الميرزا الحائري فقيهاً أمثال العشرات من الفقهاء و المراجع الكبار في عصره ، بل وقبل عصره . فلماذا هذا الإنشداد الكبير لتلك الشخصية العربية الشمائل ، الفارسية الأجداد ؟

طبعاً للنهج الإسلامي العربي الذي إختطه الميرزا الحائري لنفسه ، في الدعوة لمدرسة آل البيت الحكيمة ، العامل الأكبر للمكانة التي حظيت به مرجعيته ، كما أوضحنا قبل قليل . ولكن مرجعية الحائري لم تكف بذلك ، بل إن دراسة لأحوال الحوزات العلمية في النجف الأشرف وفي كربلاء المقدسة في ذلك العصر ، سيقودنا إلى مكامن الشموخ و العظمة في شخصية الحائري . و كيف كانت شخصية ريادية بحق .

إلا أننا لا بد أن نؤكد في بداية حديثنا على دور الحوزات العلمية عامة في البلدان الإسلامية ، ذلك الدور الكبير و المشرف في نشر الدين الإسلامي ، و المحافظة على التشيع ، و ترسيخ القيم الإسلامية .

وللحوزات العلمية في تلك المدن مساهماتها الضخمة في ترسيخ أصول الفقه الإمامي ، وفي كتابة آلاف الكتب في شتى أبواب الشريعة الإسلامية لإعلاء كلمة التوحيد .

وعلى الرغم من ذلك فقد رافق بعض تلك المرجعيات و حوزاتها في مدننا الإسلامية بعض القصور التي أشار إليها العديد من الكتاب والباحثين. لعل أهمها ما كتبه البهادلي في (الحوزة العلمية في النجف) وعدد بعض الملاحظات على الكيان المرجعي، رغم ما يحظى به منصب المرجعية الإسلامية العليا من قدسية في نفوس المؤمنين الشيعة. إلا ان البهادلي حدد خمساً من تلك الملاحظات أسماها بسلبيات الكيان المرجعي:

١- فقدان فاعلية المرجعية الإسلامية العليا في ما يتصل بعلاقتها بالمقلد ، و بالتالي وجود فجوة واضحة بين المقلد و المقلد .

٢- طبيعة التفكير الذاتي للمرجعية ، بمعنى عدم وجود مؤسسة مرجعية . وقد نتج عن ذلك انقطاع إتصال مرجع اليوم بمن سبقه من المراجع ، وبمن لحقه أيضاً .

٣- الخلل في النظام المالي للمرجعية الإسلامية العليا .

٤- وكلاء المرجعية ، فهؤلاء يمثلون المرجعية في أرجاء أرض الله الواسعة ، و يفترض أن يكونوا بمستوى المسؤولية المنوطة بهم . بيد أن الواقع شيء آخر .

٥- أسلوب العمل المرجعي الذي لا زال يعتمد الأساليب ، و الوسائل ، و الأدوات القديمة ، ولم يستفد من الثورة الثقافية ، و العلمية والتقنية الحديثة . ولم يستطع الإنفتاح على مشكلات العصر لكي يتمكن من معالجتها ، و وضع الحلول المناسبة لها . ص ٤١٦

ويؤكد الدكتور جعفر الباقري في كتابه (ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية) : إن عملية الإصلاح عملية جماعية . ولقد انبرى لإصلاح الكيان المرجعي و الحوزة العلمية . قبل مرجعية الميرزا الحائري وبعد مرجعيته بسنوات ( مجموعة من العلماء الرساليين الذين أدركوا عمق هذه المشكلة ، وعاشوا هم الإصلاح و التغيير ، وخصوصاً في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الحالي ) ص ٧

وقبل بضع سنوات أعلن السيد علي الخامنئي عن ضرورة وضع العلاج الحاسم لحالة الارتباك القائمة في نظام الحوزة العلمية والكيان المرجعي ، و قبل دعوة السيد الخامنئي كانت هناك دعوات عدة أبرزها للسيد محمد باقر الصدر ، و السيد محسن الأمين العاملي ، و السيد محمد حسين فضل الله، و الشيخ محمد جواد مغنية التي طالبت بتطوير الحوزات العلمية وإعادة صياغة مناهجها ، واعتماد الطرق الحديثة في التدريس، وتعميق الطرح الديني .

بل تعدت تلك الدعوات من تشخيص الخلل في الكيان المرجعي ، إلى إصلاح الكيان المرجعي بأكمله وجاءت العديد من الأطروحات الفقهية الجذرية التي تنادي ( بشورى الفقهاء ) تارة و ( المرجعية الرشيدة ) تارة أخرى. و يضيف الدكتور الباقري (لقد اشترك مع آية الله الخامنئي في أصول هذا الطرح مجموعة أخرى من كبار علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، و ساهموا في وضع الأسس الفاعلة لتطويره و تنجيحه على الرغم مما تعرضوا له من ضغوط و مواجهات) ص ٩ .

و لا ننسى موقف الإمام الخميني في كتاب ( ولاية الفقيه ) من عملية إصلاح الحوزات العلمية ( إن تعريف الإسلام للناس و عرضه عليهم يستلزم إصلاح الحوزات العلمية ، بمعنى ضرورة تكميل و إصلاح البرامج الدراسية و أسلوب التبليغ و التعليم ) ص ١٨٣ . و للإمام الخميني آراء جريئة بشأن إضافة العديد من المواد الدراسية في مجالات الحكمة و السياسة وغيرهما في برامج الحوزات العلمية .

إن إيرادنا لتلك الملاحظات مختصرة على الكيان المرجعي و الحوزات العلمية ، حتى يمكن لنا تتبع فعاليات و تجديدات مرجعية الميرزا الحائري بوضوح دقيق في ذلك العصر . و بالطبع أن تلك الملاحظات الخاصة بالكيان المرجعي و الحوزات العلمية زمنياً ، هي قبل وبعد مرجعية الحائري . ولا نريد أن نستثني مرجعية الميرزا الحائري من بعض هذه الملاحظات . ولا نرغب هنا إلا أن نضع مرجعية الحائري في إطار عصرها التي ولدت فيه وعاشت فيه . بما في عصرها من جوانب ظل و ضوء . وإذا كان عصر الحائري يعج بالمرجعيات الكبيرة و العلماء المجتهدين ، فإن أول ما يميز مرجعية الحائري انفتاحها على المرجعيات الأخرى ، و تحاورها مع المدارس الفكرية الشيعية المتعددة ، محترمة آرائها العقائدية و الحكمية . و ليس أدل على ذلك إلا كتابات الحائري ، و جوابات الرسائل التي تصل إليه ، و كتبه الحوارية التي ألفها محاوراً تلك المدارس بشكل علمي و مؤدب .

و لعل أوضح دليل كتابه الشهير ( إحقاق الحق ) الذي عرف به ، و حاور فيه العديد من الأفاضل الذين طرحوا إشكالاتهم على مدرسة آل البيت الحكمية و زعيمها الشيخ أحمد الأحسائي . وقد يحاور حيناً أتباع المدرسة ذاتها ، و يرد على سؤالاتهم ، و إستفساراتهم رد الواصل من نفسه ، و رد الحكيم العارف ببواطن التفسير ، و أغوار الحكمة . و ذلك أمثال رسائله في جوابات مسائل ملا إبراهيم البصير الكويتي ، و سؤالات العالم الفاضل الشيخ حسين الصحاف ، و رسائل أجوبة الملا إبراهيم بن ملا سلمان و غيرها من رسائله العديدة .

بل إن الميرزا الحائري يتجاوز ذلك في الرد إلى المدارس الإسلامية غير الشيعية ، و يحاورها و يتصدى لها أمثال كتابه ( الفصول الغريبة في رد الصوفية ) .

هذا ما نعتقده مظهراً من مظاهر انفتاح مرجعية الحائري على المرجعيات الأخرى . أما المظهر الآخر فيمكن فهمه في ظعونه للنجف الأشرف و هو المجتهد الكامل ، ليحضر عند تلك المرجعيات مستفيداً من عطائها المتعدد ، وفيضها الإلهي . ولم يثنه عن ذلك أن زمام المرجعية بين يديه ، ولم يلهه عن ذلك كون الرئاسة الدينية و الدنيوية سعت إليه بكل زهوها وجلالها . بل ( ترك الإمامة و الرياسة الظاهرية ولم يعبأ بازديحام المؤمنين و توجههم إليه ، واجتماعهم عليه في الصلاة ، و نهض ظاعنا إلى النجف الأشرف ) أجوبة مسائل ، ص ٧ . فحضر هناك عند مرجعيات عصره كآية الله الميرزا حبيب الرشتي ، وآية الله الأخوند ملا محمد الأيرواني ، وآية الله الميرزا حسين قلي الهمداني ، وآية الله الشيخ هادي الطهراني ، مستمعاً و مستفيداً ، و متتلماً من جديد على يد هذه المرجعيات . كل ذلك رغم كماله الذي أشار إليه في إجازته لابنه الميرزا علي ، قبل أن يتوفى والده الميرزا محمد باقر عام ١٣٠١ هجري ، فقد كتب ( ولم أتمكن في تلك المدة حياءً منه و تعظيماً له من الإستجابة العامة ، و كنت أومل نفسي بيوم و غد و أسبوع و شهر ، إلى أن رمى بسهم عناد الزمان ، و خان به الدهر الخوان ، و فجاه به الموت الذي لا بد لكل إنس و جان ) الإجازة بين الإجتهد و السيرة ، ص ٥٨ .

ذلك الإنفتاح و التواصل بين مرجعيات عصره ، و تياراتها الفكرية ، بالحوار و الكتابة ، و الدرس ، و الزيارات هو ما جعل عصر الحائري عصر السلم و الهدوء ، و غياب الصراع المسلح بين تيارات و مدارس الفكر الشيعي . وهو ما جعل مرجعيته أكثر انفتاحاً من غيرها من مرجعيات عصره .

هذا الانفتاح الذي صبغ مرجعية الميرزا الحائري ، نجده أيضاً في انفتاحها على هموم العصر ، و مشكلات الحياة المعاصرة . و نجدها سباقاً لاتخاذ القرارات الجريئة ، و العمل على أن تصبح المرجعية جزء من الفرد المسلم ، لتردم الهوة بين المقلد و المقلد .

ف عصر الحائري مني بمشكلات عدة مثل : أزمة التعليم ، و مشكلات الاستعمار ، و مشكلات الإنحلال الأخلاقي ، و مشكلات الحرب و السلام . فلم تقف مرجعية الحائري مكتوفة الأيدي إزاء تلك المشكلات ، ولم تعالجها في إطارها الفقهي فقط . فمثلاً مشكلة تحديد النسل ، قد تعالجها المرجعية فقهيًا بذكر الحالات التي يجوز فيها منع الحمل ، أو الإجهاض والحالات التي لا يجوز فيها ذلك ، دون أن تتصدى المرجعية لتوعية الأمة فكرياً لهذا الأمر الحساس .

لقد تصدت مرجعية الحائري للكثير من هذه المشكلات ، ليس فقهيًا فقط بل عملياً عبر وكلاؤها المنتشرين في شتى أنحاء العالم الإسلامي . و سننقل بعد قليل العديد من الشواهد العملية التي قامت بها مرجعية الحائري عبر وكلائها ، فجعلها بحق مرجعية ريادية ، منفتحة على مشكلات عصرها ، متصدية لتلك المشكلات بالعلم و العمل معا .

و حينما غزى عصر الحائري التعليم الرسمي بجهازه الإداري، ومناهجه التعليمية و أساليبه الجديدة . فما هو موقف المرجعيات الأخرى في النجف و كربلاء؟ ( كان موقف المرجعية أمام ذلك موقفاً غريباً حقاً، إذ لا تجد سوى دعوة لمقاطعة تلك المدارس ، أو فتوى بحرمة الانتماء إليها. دون أن تقدم المرجعية البديل ) البهادلي ، ص ٢٤٩ . فما كان من مرجعية الحائري إلا أن ابتداءً بأولاده ، فأمرهم بالدخول إلى تلك المدارس. فعندما أسس الإيرانيون الشيعة مدرسة ( حسيني حائري ) في كربلاء (فقد طلب حينها مؤسسوا تلك المدرسة من العلماء الأعلام من سكنة كربلاء أن يرسلوا أبناءهم إليها ) قرنان من المرجعية و الاجتهاد ، ص ٢١٩ .

و عندما أسست كلية باسم (مؤسسة الوعظ و التبليغ الإسلامي) في طهران ، وأرسلت حكومة طهران في ذلك الوقت تعميماً ، تؤكد فيه أن على كل رجل دين يرغب في صعود المنبر و الإشتغال بأمور الإرشاد

والتبليغ أن يحضر في تلك المؤسسة لم يمنع ابنه الميرزا حسن من دخولها، بل شجعه على دخول تلك الكلية ، و دخلها الميرزا حسن و اجتازها بامتياز كبير . قرنان من الإجتهد والمرجعية ، ص ٢٧٦ .

و تصدت مرجعيته عبر نوابه و وكلاؤه و مريديه المنتشرين في كل بلدات العالم الإسلامي لمشكلات ذلك العصر بشكل عملي . فقد تصدى الميرزا حسن في أسكوء و سائر بلدات آذربيجان للفساد الأخلاقي بأشكال عمليه ، وتصدى الميرزا علي ثقة الإسلام التبريزي للإستعمار الروسي في تبريز . و قاوم وكلاؤه فتنة البابية حتى قأصوا نشاطها ، ودحروها من تبريز .

ومن سمات انفتاح مرجعية الميرزا الحائري . تفكيرها الأممي و تصرفها العالمي . فلم تتصرف هذه المرجعية يوماً ما ، تصرفاً إقليمياً ضيقاً . بل أنها واعية دوماً لآلام المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي . لذلك فان مرجعية الحائري كانت مدركة لما يجري في المكان القصي من العالم الإسلامي . حيث أرسلت وكلاءها إلى تلك البلدات ، لبناء المساجد و الحسينيات ، و الجامعات ، و دور الأيتام إلى كل مكان قصي . مدركة لكل احتياج من احتياجات تلك البلدان . أي أنها نزلت لميدان العمل الاجتماعي و السياسي و العقائدي ، ولم تكف بالتنظير الفقهي فقط لمشكلات العصر . و سنشير بشيء من التفصيل لإسهامات تلك المرجعية العملية ، في العديد من البلدان الإسلامية البعيدة ، حين نتحدث عن نشاط وكلائها .

كل ذلك يشكل حكمة المرجعية أو مرجعية الحكماء التي يمثلها الميرزا الحائري . فلم نرَ ذلك الإنفصام بين المرجعية ومقلديها . أو تلك الفجوة بين المرجعية ووكلائها المنتشرين هنا وهناك . بل أن التنظيم الدقيق لتحركات وكلائها ، و منهجية مشاريعها العلمية و الإنسانية ، يقودنا إلى القول بكل ثقة أنها مرجعية مؤسسية ، يحكمها نظام صارم دقيق . نظام إداري يحكم تحركات الوكلاء و سفراتهم و إقاماتهم في تلك البلدان .



ونظام مالي صارم استطاع أن يبني تلك المؤسسات العلمية والخيرية العديدة في كل مكان . و بشكل منظم ومنهجي دون انقطاع ، بل به إمتداد من مرجعية والده الميرزا محمد باقر من جهة ، وطول مدة مرجعيته من جهة أخرى . أما وكلاء المرجعية ، فيكفي أن نعدد أسماءهم حتى ندرك كيف قامت مرجعية الحائري بإعدادهم روحياً وفكرياً ، ثم إرسالهم إلى شتى أصقاع العالم الإسلامي . وبذلك فإن وكلاء مرجعيته كانوا على الدوام الوجه الآخر لها . وكانوا على قدر كبير من تحمل المسؤولية المنوطة بهم . أما أساليبها و أدواتها فقد استخدمت كل الأساليب الممكنة في ذلك العصر . ونزلت للميدان شريكاً للمقلد في عمله ، ومنزله ، ومدرسته . وبذلك يمكن القول ونحن على ثقة تامة بأن مرجعية الحائري ، قد تجنبت العديد من سلبيات العمل المرجعي في ذلك العصر .

### البعد العقائدي :

هناك مرجعيتان . مرجعية تبني الفرد الإنساني عبر تقويم سلوكه العبادي . ومرجعية أخرى تحاول أن تبني الإنسان من الداخل عقائدياً و فكرياً ومن ثم تقوم من سلوكه العبادي . و نعتقد أن مرجعية الميرزا الحائري ، قد عمدت لبناء الإنسان الكامل . حيث تصدت مرجعية الحائري لهذا الجانب عبر وسائل عدة : منها التدريس و التأليف و إرسال المبلغين والمرشدين إلى مختلف الأقطار ، لنشر منهج مدرسة آل البيت الحكيمة . إيماناً منها أن بناء الإنسان المسلم عقائدياً ، واجباً شرعياً من واجباتها . وإذا تم بناء الإنسان عقائدياً ، سهل حينئذ تقويم سلوكه العبادي .

ولا أظن أننا بحاجة للتدليل على إسهامات مرجعية الحائري في نشر مدرسة آل البيت الحكيمة بأبعادها العقائدية الأصيلة ، و نشرها ، و الدفاع عن زعيمها الشيخ أحمد الأحسائي . فقد مر علينا العديد من الإستشهادات في الصفحات الماضية . و ما نشهده حالياً من انتشار لأفكار مدرسة آل البيت الحكيمة – حتى خارج إطار مرجعياتها التقليدية – هو في الواقع من

إسهامات تلك المرجعية ، التي أخذت على عاتقها بهدوء وروية وثقة ، ترسيخ هذا الإيمان المطلق بفضائل آل البيت وبمقاماتهم وحبهم عليهم السلام ، و وضعهم في موضعهم الحقيقي الذي وضعهم الله سبحانه وتعالى فيه ( عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ) سورة الأنبياء ، الآيات ٢٦ ، ٢٧ . غير عابئة بتقول المقولين ، و غير مكترثة بما وجه إليها من إتهامات بالغلو فيهم عليهم السلام في ذلك العصر .

و لناخذ مثالا واحداً وصارخاً لأهم آراء الشيخ أحمد الأحسائي العقائدية، والذي على أساسه كفر الشيخ الأحسائي وُشِن على مدرسة آل البيت الحكمية في ذلك الزمان . و اليوم أصبح من المسلمات في الفكر الشيعي .

استنبط الشيخ الأحسائي من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة مفهوم (الحقيقة المحمدية) في محمد وآل بيته ، و أنهم علل جميع الخلائق . وعلّة فاعلية لكونهم محال مشيئة الله ، و السنة إرادته ، و أيدي إيجاده . وعلّة مادية لكون مواد الأشياء من فاضل أنوارهم و أشعة وجودهم . وعلّة صورية لكون صور الأشياء من فاضل هيئات نواتهم . وعلّة غائية لكون الأشياء السنة الثناء عليهم . فاتهم الشيخ أحمد الأحسائي با الغلو في الأئمة الأطهار لأنه فوض أمر الخلق إليهم . و لا نريد ان نناقش هذه المصطلحات والمفاهيم العقائدية هنا ، لأننا فعلنا ذلك بالتفصيل في كتابنا ( آخر الفلاسفة ) فنحيل القارئ لهذا الكتاب وغيره من الكتب الأخرى، حتى لا يلتبس الأمر هنا . إلا أننا نريد أن نقول أن ما صرح به الشيخ أحمد الأحسائي من معنى الحقيقة المحمدية ، و العلل الأربع، و المقامات الأربعة ، و التفويض قد ذكرها الشيخ في معرض إظهاره لفضائل محمد وآل محمد في العديد من كتبه و شروحاته . وفي (شرح الزيارة الجامعة) شرح الشيخ فقرة (ومفوض في ذاك كله إليكم، و مسلم فيه معكم) و من خلال شرحه للتفويض أتهم بالغلو و كُفّر .

إلا أن الشيخ الأحسائي نفى تهمة الغلو عنه، ودافع عن أفكاره بأسلوب علمي، مؤكداً أن الأئمة الأطهار ليسوا سوى محال مشيئة الله، وأنهم إنما يفعلون كل ذلك بأمر من الله سبحانه وتعالى. يقول الشيخ الأحسائي (و أوصيك وصية ناصح ألا تستغرب هذه الأشياء أو تنكرها، فانا لا نريد بذلك أنهم عليهم السلام فاعلون أو خالقون أو رازقون بل نقول أن الله هو الخالق وهو الرازق وهو الفاعل بما شاء وحده. لم نجعل له شريكا في شيء، إلا أنا نقول أنه سبحانه لا يفعل شيئا بذاته لتكرمه و تنزهه عن المباشرة، وإنما يفعله بمفعوله من غير تشريك، بل هو الفاعل وحده) ج ٣، ص ١٥٣ .

وفي مناقشة تهمة الغلو والتفويض يختم حسن فيوضات تلك المناقشة بقوله: ( فهكذا أن الشيخ بريئ مما نسب إليه من القول بالتفويض الباطل. وكذلك القول بأنه قد تجاوز الحد بالغلو في الأئمة الأطهار عليهم السلام . وكيف يكون مغالياً وقد صرح بكفر الغلاة؟ كما في شرح التبصرة) ص ٨٧ .

نسبة التفويض للشيخ الأحسائي والتي تسببت باتهامه بالغلو ومن ثم التكفير ، تصدى لها الميرزا موسى الحائري في ( إحقاق الحق ) بشكل مفصل . وأثبت جواز التفويض الشرعي الجائز . وأبطل تهمة الغلو عن الشيخ لعدم قوله بالتفويض غير الجائز شرعاً.

واليوم تطورت تلك المصطلحات و المفاهيم العقائدية واستبدلت كلمة التفويض الجائز بـ (الولاية التكوينية) التي تعني إدارة أمور الناس، وإدارة شؤون الأشياء التكوينية من شجر وحجر وشمس وقمر وإحياء موتى، وللولي عليها حق الطاعة والإنقياد. فراجع الميزان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ١١. في معنى ولاية الله التكوينية. وراجع معنى الولي الذي (يدبر

الأمر، والسلطان ولي أمر الرعية) في مجمع البحرين، ج ١، ص ٤٥٥

و الولاية التكوينية التي هي التفويض الشرعي الجائز ، للأنبياء و لآل أهل البيت عليهم السلام بحكم ( مقاماتهم ) يتعرض لها الشيخ إسماعيل حريري العاملي في كتابه الصادر حديثاً عن دار الولاة ، بعنوان : ( الولاية التكوينية فيض إلهي وعطاء رباني ) . و في هذا الكتاب يناقش الشيخ حريري معنى الولاية التكوينية . ومقامات الأنبياء في الكتاب والسنة ، و ثبوتها للمعصومين من الأنبياء و الأوصياء ، و ثبوت وقوعها لعدد من الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام . و يستعرض الكاتب كلام مراجعنا المعاصرين ممن قالوا بثبوت الولاية التكوينية . فيأتي بالصریح من كلام الإمام الخميني في كتابه ( الحكومة الإسلامية ) . و السيد أبو القاسم الخوئي في تقارير درسه الفقهي المعروف ب ( مصباح الفقاهة ) ، و جواب الشيخ محمد تقي البهجة حول الولاية التكوينية ، و الميرزا جواد التبريزي في ( إرشاد الطالب ) وكذلك السيد تقي الطباطبائي القمي صاحب ( مباني منهاج الصالحين ) ، وكلهم من العلماء الأعلام و المراجع الكبار الذين يصرحون بوضوح بثبوت الولاية التكوينية .

و إذا كان هذا التصريح من علمائنا الأعلام المعاصرين ، فإن أعلام الطائفة المتقدمين من أمثال الشيخ المفيد ، و السيد المرتضى ، و العلامة المجلسي ، فإنهم نقلوا من الروايات ما تدل على جواز الولاية التكوينية ، من غير تشكيك أو استهجان ، وإن لم يصرحوا بثبوتها .

وما بين التلميح من قبل أعلام الطائفة المتقدمين ، و التصريح بثبوتها من قبل مراجعنا الأعلام المعاصرين ، كُفر الشيخ أحمد بن زين الدين لأنه قال بها ، و دافع عنها الميرزا موسى الحائري بالقول و العمل والكتابة لإيقانه بثبوتها لهم عليهم السلام . و تصدت مرجعية الحائري لإثباتها

عبر ترسيخ المبدأ العقائدي في الإنسان المسلم . و بالفعل بنت الإنسان المسلم عقائدياً من الداخل .

وقد تصدى الميرزا الحائري لإثبات الولاية التكوينية في (إحقاق الحق) وأفرد لها رسالة خاصة بعنوان (في التفويض) . وكانت الحد الفاصل بين التلويح والتصريح لكلام أعلامنا الأعلام المتقدمين و المتأخرين . يقول آية الله الشيخ عبد الكريم العقيلي عن رسالة (التفويض) تحديداً ، لفهم موضوع التفويض الشائك : ( هذه الرسالة التي جعلها مصنفها في عدة فصول تدور حول موضوع التفويض ، و تضع النقاط على الحروف ، بأوجز بيان و أسطع برهان قاطعة الجدل بالحجة الدامغة و الدليل الواضح ) ١٩٩٩ م .

ونعود لإسهامات مرجعية الحائري من جديد من خلال رصدنا لعطائه الفكري ، ومن خلال التحول الكبير الذي حدث في المجتمع الإسلامي . وأخذنا مثلاً واحداً عن الولاية التكوينية بين تلميح أعلام الطائفة السابقين، و تصريح مراجعنا العظام المتأخرين . لكن هناك العديد من الأمثلة الأخرى التي يمكن إيرادها . و التي استطاعت مرجعية الحائري أن ترسخها في الحوزات العلمية، وفي أذهان وقلوب المسلمين الشيعة . ولذلك فهو المرجع الحكيم، أن طابع مرجعيته، هو طابع المرجعية الحكيمة . فلم يكتف بالتصدي للإعتراضات على مدرسة آل البيت الحكيمة، بل أسس مفاهيماً جديدة للحوار في (إحقاق الحق)، و اختط أساليباً جديدة لهذا المنهج في (تنزيه الحق).

ونظرة سريعة – مرة أخرى – على عناوين مصنفاته ، تدلنا إلى أنه حكيم من الطراز الأول، صان العقيدة الإسلامية، ودافع عن مبادئها السامية . كل ذلك بذهنية الفقيه الحكيم، و العقائدي الصلب . ويكفي أن نرجع إلى فصول سفره الضخم (إحقاق الحق) فنجد رسائله بعناوين شتى منها (علم الله القديم و الحادث) و (علم الإمام عليه السلام) و (في تحقيق

مسألة الإمكان) وكلها تشير إلى عمق فلسفته، و تضلعه بمناهج الحكمة الإلهية، و عارف ببواطن أسرارها . بل وقادر على حل مشكلاتها الحكيمة المعقدة. ومرة أخرى مؤصلاً لها أيضاً كما في رسالته (إثبات أن فرض المحال محال خلافاً للمشهور) أو كتاب (تنزيه الحق) وغيرهما .

أما قدرته على حل الرموز الحكيمة ، و شرح مسائل الحكمة المعقدة ، فإنها بارزة في كل شروحاته . و تتضح جلياً في ( جواب سؤال حول أبيات أنشدت في العلم المكتوم المرموز التي مطلعها، ألا أيها الساري على كور سالج ، تجوب الفيافي فدفداً بعد فدفداً) . و استهدفت مرجعية الحائري من كل ذلك خلق جيل من المسلمين العقائديين ، المؤمنين بأطروحات مدرسة آل البيت الحكيمة ، و استهدفت مرجعيته الدفاع عن زعيمها الشيخ الأحسائي ، و رفع المظلومية عنه. وهذا الأمر يتطلب ثقة بالنفس ، و معرفة راسخة بأهداف تلك المدرسة و مبادئها ، و بأفكارها الإسلامية الأصيلة ، كما أن ذلك يتطلب شجاعة نادرة . فهذه المدرسة قد حوصرت ، و شُنع عليها ، و كيلت لها الإتهامات ، حتى أن العديد من محبي و مؤيدي هذه المدرسة من العلماء الكبار ، أخفوا انتسابهم لها أو محبتهم لها . بل إن البعض منهم دافعوا عن أنفسهم ، متبرئين من ( تهمة ) الانتساب إليها . يقول الشيخ عبد العظيم المشيخ ( كما أن هناك شخصيات علمية من الأحساء و القطيف حملت هذا الاتجاه ، و روجت له في أماكن تواجدها ، و البعض الآخر فضلت اعتناقه فقط ) القطيف و ملحقاتها ، ص ٥٤٧ . أما عن الحالة في منطقة القطيف فيرى المشيخ ( أن أغلب علماء القطيف في القرن الثالث عشر ، و منتصف القرن الرابع عشر الهجريين ، تبنت هذا الاتجاه ، ولكن نتيجة الاضطهاد الذي لاحق معتقيه ، فضلت الصمت و الانزواء خوفاً من الإتهامات و التشنيع ) ص ٥٤٧ .

و يصل الشيخ المشيخ في وصف الإرهاب الفكري إلى أن مدرسة آل البيت الحكيمة تعرضت ( لحملة هجومية و قمع فكريه ) ص ٥٥١ .

و بذلك تظهر لنا شجاعة تلك المرجعية التي فضلت عدم الصمت ، وعدم الإنزواء ، بل تبنت إتجاه حكمة آل البيت عليهم السلام . و روجت له أيضاً بكل إمكانياتها و علميتها ، و صبرها وكان لها ما أرادت .

و هذا البعد تحديداً أشار إليه الميرزا عبد الرسول الحائري في ( قرنان من الإجتهد والمرجعية ) عندما ترجم للميرزا الحائري ( وكان المرحوم حريصاً على نشر مقامات المعصومين عليهم السلام وخصوصاً فضائلهم ، و مناقبهم ، و درجاتهم العالية ، و سعى كثيراً في هذا المجال كما هو واضح في صفحات كتبه القيمة ) ص ١٤٢ . و عن هذا الجهاد يقول رياض طاهر في مقدمة كتاب ( إحقاق الحق ) إن الميرزا موسى الحائري ( لم يقصر في نشر فضائل آل محمد عليهم السلام و دفع الشبهات التي فيها تنقيص عن مقامات و مراتب المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام التي رتبهم الله فيها من الولاية الكلية الإلهية على جميع العوالم الكونية و الإمكانية و كل المجموعات الشمسية ، و كونهم عليهم السلام الحجج على كل معترف بمملكة الربوبية و سلطان العبودية ، و إحاطة علمهم بجميع ذرات الوجودية ، و كونهم الوسائط في الإفاضات الشرعية و الكونية ، و أثبت كل هاتيك المطالب بدليل العقل المستنير بنور الله مؤيداً بمحكمات من الذكر الحكيم و أحاديث النبي الأمين صلى الله عليه واله وسلم و أهل بيته الميامين عليهم السلام ، و مستعينا بالأدلة الثلاثة من دليل الحكمة و الموعدة الحسنة و المجادلة بالتي هي أحسن ) ص ٢٠ .

و إذا كان هذا هو جهاد الميرزا الحائري في ظل القمع الفكري و الإتهامات المتناثرة هنا وهناك ، فإن البعض من العلماء الآخرين قد تخلوا عن هذا الواجب المقدس . و اكتفوا بالإنهماك بالدرس و الإنشغال الفقهي ، خوفاً من العامة أو خوفاً من التشنيع و الإتهام .

## إنسانية المرجعية :

اتخذت مرجعية الميرزا الحائري طابعا إنسانياً و اجتماعياً فريداً من نوعه . فلم تكن مرجعيته تلك المرجعية المنغلقة على ذاتها . بل انفتحت فكرياً وعلمياً على المدارس الأخرى ، درساً وتدريساً و تأليفاً كما مر معنا قبل قليل .

ولكن كيف يجوز لنا ان نصف مرجعيته ، بمرجعية إنسانية في سموها و تعاملها و توجهها ؟ بل كيف يجوز لنا أن نصف مرجعية الحائري بأنها ذات طابع اجتماعي يميزها عن غيرها من المرجعيات الأخرى ؟

إن العلاقة السائدة بين المرجعيات ومقلديها علاقة شكلية في معظم الأحوال . كما أشار إليها علي أحمد البهادلي في كتابه ( الحوزة العلمية في النجف ) واصفاً تلك العلاقة بوجود فجوة واضحة بينهما . ص ٤١٦ . الأمر الذي أفقد التقليد دوره في صياغة الجماهير و تحريكها ، و السبب كما يراه الشيخ محمد مهدي شمس الدين في ( موقف وتأملات ) هو ( إن المرجعية في التقليد هي نفسها مسؤولة عن جانب كبير من ضمور دورها في توجيه الحياة اليومية والعامة للمسلم ، و ذلك نتيجة لعدم انفتاحها على هموم العصر الحاضر و تغيراته ، مما سبب انفصاماً في العلاقة بين المسلم العادي والمرجعية ) ص ٦٩ .

إلا أن الصحيح أيضاً أن المرجعيات الدينية الشيعية ، لعبت دوراً هاماً في حياة المجتمعات ، رغم تفاوت عطائها الإنساني والاجتماعي . كما إننا من جهة لن نأخذ ( الانفصام ) الذي تحدث عنه الشيخ شمس الدين بشكل حرفي . إلا أن البهادلي في ( الحوزة العلمية في النجف ) حاول تفسير سبب هذا الانفصام أو هذه الفجوة بأن ( المقلد يريد من المرجع أن يشاركه حياته ) ص ٢٣٣ .



ولم يكتف البهادلي بهذا التفسير ، بل رصد أحاديث العديد من العلماء لتفسير ظاهرة الانفصام بين المرجع والمقلد . فينقل عن لسان الشيخ حسن طراد قوله : ( إنها ناشئة عن قصر المرجعية نشاطها العلمي في إطار الأحكام الشرعية و إعطاء الدروس ) ص ٢٣٤ .

و إذا كان هذا هو حال بعض المرجعيات الشيعية بشكل عام في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وقم ، فكيف تميزت مرجعية الحائري بهاتين الميزتين - طابعها الإنساني والاجتماعي - اللتان صاغاها بجلال مهيب .

إن مرجعية الحائري إنسانية في ذاتها و تحركاتها الواسعة . واجتماعية في توجهاتها ، وقربها من هموم الناس وقضايا العصر ومشكلاته . ونحن لا نعدم التدليل على إنسانية المرجعية وانخراطها في العمل الاجتماعي . فهناك العشرات من الشواهد على ذلك ، التي يمكن تلمسها حين إعادة قراءة ترجمة الحائري . و سنأتي على بعض منها ونترك الباقي للصفحات القادمة .

و لعل أول ما يدلنا على إنسانية المرجعية ، احترامها للإنسان ولدمه ولماله وعرضه ، واحترامها للشعائر الدينية ، ومنعها من الانتهاك . و لعل أوضح مثال على ذلك احترامها للحرم الحسيني الشريف من التعرض للهتك - كما مر معنا - أو تعرض المؤمنين للاعتداء بسفك دمائهم وفقد أرواحهم . بدأت مرجعية الحائري عهدا ، باحترامها للإنسان حياً وميتاً .

و بدأت المرجعية بإصلاح ذاتها ، معرضة صفاً عن ملذات الدنيا الظاهرية ، حيث قضى الحائري معظم حياته : ( في حالة من الفقر و الحاجة ، إلا أنه لم يكن ليرد سائلاً ، ولم يكن يبذل ماء وجهه للأثرياء و المتمولين ، بل كان يعيش في عزة نفس كبيرة ، و جلال ذاتي ) قرنان من الإجتهد و المرجعية ، ص ١٤٢ . و قد عمل الحائري على إصلاح النفس و تهذيبها ، قبل أن يعمل على إصلاح غيره من المؤمنين . فلم يكن يرى

دوماً إلا : ( لساناً ذاكراً ، وقلباً رؤفاً محباً ، وبراً معطاء ، وامتاز بهيبة عظيمة ، و هينة نورانية محببة للقلوب ، وكلام ثمين متين ، فهو لا ينطق غالباً إلا بالحكمة وبالأحاديث المروية عن المعصومين عليهم السلام )  
قرنان ١٤٢-١٤٣ .

و يتجلى لنا جانب إنساني آخر في شخصه وفي مرجعيته ، ألا وهو بربه لأبيه والعمل على خدمته . يقول الحائري في الأجازة بين الاجتهاد والسيرة ( ولقد كنت مذ بلغت ثمانية عشر سنة ملازماً لخدمته سافراً وحضراً ، ألتقط خلوة و جلوة من ثمار رياضه وإفاداته ، و أرتوي من ينبوع علومه وإفاضاته مدة مديدة تقرب من خمس سنين ، إلى أن أجاب نداء ربه و لباه ) ، ص ٥٨ .

و يمكن الاستدلال على إنسانيتها أيضاً ، كون مرجعيته لم تسجن نفسها أبداً في زوايا الحوزات العلمية ، ولم ترهن ذاتها أبداً لحلقات الدرس فقط . بل لم تكتف أبداً بالتنظير الفقهي للناس ، وهي بعيدة عنهم . بل صبغت تلك المرجعية نفسها بطابع إنساني ، حين أشرعت نوافذها للشمس ، وفتحت أبوابها للناس . تتحسس همومهم ، وتتعرف على مشاكلهم ، و تقضي حوائجهم . و ذاكرة أهالي كربلاء و الأحساء و الكويت الشعبية مليئة بعشرات الحكايات والذكريات الدالة على ذلك . و عندما ألح أهالي الكويت على الميرزا الحائري بالقدوم إليهم ، لبي طلبهم ، و أقام عندهم حولا كاملا ١٣٤٢-١٣٤٣ هجرية . كان ذلك بعد بناء الحسينية الجعفرية بقليل ، إلا ان الحائري قطعاً قد أقام في الكويت مدة أقصر من هذه المدة ، قبل عقد من ذلك التاريخ ، عند قدومه للأحساء عام ١٣٣٠ هجرية ، والنقاؤه في قرية ( الحليلة ) بأستاذه الشيخ محمد آل عيثن الأحسائي . بالإضافة إلى زيارته الأخرى للبلدان الإيرانية و العراقية التي لم يسجلها لنا مترجموه صراحة . إلا أن كل تلك الزيارات والتحركات - المؤرخة - تشير إلى الطابع الإنساني لها ، و تؤكد قرب تلك المرجعية من الناس ، تذهب إليهم بدلاً من الإنتظار لكي يأتوا إليها في حوزتها . وكل زيارته

إلى مشهد و الكويت و الأحساء كانت إبان مرجعيته ، حيث توارىخها تشهد بذلك .

أما طابعها الاجتماعي ، فيتجسد في تصديها للعمل الاجتماعي ، و الانخراط في هموم المجتمع ، وتلمس قضاياها و مشكلاته المعاصرة . و السعي إلى حلها . و العمل على تضييد جراح المجتمع ، و جمع كلمة المؤمنين ، و سد حاجاتهم ، و بناء المؤسسات الدينية و العلمية و الخيرية لهم . بل و العمل معهم يبدأ بيد من أجل مصالح المجتمع الإسلامي . و لا نملك رسداً دقيقاً لإسهامات تلك المرجعية في هذا الجانب الاجتماعي ، و لكننا نملك شواهداً عدة . ففي كربلاء أنشأ ( حسينية الحائري ) و ( مكتبة الحائري العامة ) عام ١٣٤٤ راجع العقيلي ، ص ١١ و الشاهرودي ، ص ٢٩٨ . و أنشأ حوزة للتدريس في كربلاء أيضاً . قرنان ، ص ١٣٦ .

يقول آية الله الشيخ العقيلي في تحقيق (رسالة في التفويض) مشيراً لإنجازات الحائري الاجتماعية (وفي سنة ١٣٤٤ هجري تم بناء أفخم حسينية في الحائر الحسيني الشريف مقابل الصحن المطهر باسم حسينية الحائري) و ذلك بأمره و بهمة مريديه . و أنشأ هذا العلامة الجليل كوالده الماجد حوزة علمية عظيمة في كربلاء المقدسة ، أرفدت المجتمع الإسلامي الشيعي المقدس بعدد من المجتهدين و العلماء الأعلام ( ص ١١-١٢ ) .

وقامت تلك المؤسسات الدينية التي أنشأتها مرجعية الحائري بأدوار هامة . يقول الشيخ رياض طاهر الأمين العام لمكتبة الحائري بكربلاء ( إن مكتبتنا قد أخذت على عاتقها نشر الكتب الدينية و إصدار النشرات الدورية ، وهي لا تألوا جهداً في الإجابة على أسئلة السائلين إرشاداً للمسترشدين و خدمة للمؤمنين ) إحقاق الحق ، ص ٢٠ .

وقامت مرجعية الحائري ببناء مسجد ( الصحاف ) بالكويت عام ١٣١٠ هجرية في بدايات سنواتها ، عندما تولى أمر البناء الحاج حسين الصحاف ، وجدد بأمر الميرزا علي وشيدت منذئذ التي ذكر فيها ( أشهد أن علياً ولي الله ) لأول مرة في الكويت عام ١٣٧٦ . قرنان من الاجتهاد والمرجعية ، ص ١٦٥ . و أتمت بناء الحسينية (الجعفرية ) عام ١٣٤٠ تقريباً في الكويت أيضاً . وأمر الحائري ببناء مسجد ( الرقيات ) و العديد من الحسينيات في الأحساء إبان تواجد و كيله الميرزا علي فيها . كما شيدت بأوامره المباشرة العديد من المساجد و الحسينيات وجدد البعض منها في آذربيجان . و تلمست مرجعيته حاجات المجتمع الإيراني حينما عمد وكلاؤه على بناء ( الحمامات ) العمومية للناس هناك ، في ذلك الزمان . قرنان من الإجهاد والمرجعية ، ص ٢٧٨ .

و شارك الحائري أفراد المجتمع كما شارك وكلاؤه في أفراحهم و أحزانهم، و قضى الكثير من مديونياتهم . و عرفت مرجعيته بانخراطها في هموم المجتمع . ولم تكتف بالتقدم لإمامتهم في صلواتهم فقط ، بل تصدت لنزاعات أفراد هذا المجتمع ، والإصلاح بينهم ، و زيارة مرضاهم، و مواساتهم عند مصابهم ، و الصلاة على موتاهم . وبذلك تكون مرجعية الحائري ببعديها الإنساني و الاجتماعي ، قد ألغت الفجوة بين الفقيه العامل و بين سائر طبقات المجتمع . و لم تميز بين فقير و غني . بل إن الفقراء كانوا أكثر التفافاً حولها من الأغنياء ، وأصحاب الجاه ، حتى إنها عيرت وشنع عليها ، بأن أغلب مقلديها من فقراء المؤمنين . ولم يتحقق كل ذلك إلا بالاتصال المباشر بين المرجعية وقاعدتها الشعبية ، أو بواسطة وكلائها الرساليين ، في شتى بقاع الأرض .

وقد أتيت مرجعية الحائري و التي استمرت لأكثر من خمسين سنة من أن تستثمر طاقات شبابها في العمل الإسلامي من دون انقطاع . و تنفذ برنامجها الرسالي والإصلاحي بكل كفاءة ، بينما لم تستطع بعض المرجعيات الأخرى ذلك ، لا لقصور فيها ، بل لأنه لم يتح لها فسحة

كافية من الزمن لتنفيذ خططها . يقول الخاقاني في (شعراء الغري) واصفاً هذا الجانب : ( إن المرجع غالباً ما يتقلد الزعامة بعد أن نيف على السبعين ، و قد ضعفت قواه ، فأصبح يديرها على الطريقة التقليدية ، من دون أن يقوى على الإبداع و التنظيم فيبقى ماشياً على الخطة التي كان يسير عليها سلفه ) الحوزة العلمية في النجف ، ص ٢٣٦ . و يضيف البهادلي موضحاً ( بل ربما دفعته ذاتيته إلى التفكير بإنشاء هذا المشروع أو ذلك ، بيد أننا نراه لا يبدأ من حيث إنتهى سلفه ، بل يبدأ ببناء مدرسة هنا ، أو إنشاء مكتبة هناك ، وما أن تشارف تلك المشاريع على الإنتهاء ، أو تكون قد إستكملت بناءً ، و تجهيزاً ، فيموت المرجع ) ص ٢٣٦ .

وبذلك تميزت مرجعية الحائري - و التي استمرت لأطول من نصف قرن - من أن تفكر بهدوء ، و تخطط ، و تنفذ كل برامجها الرسالية . و تعيش وهي تنظر لثمار غرسها المبارك .

### حركية الوكلاء :

عاصرت مرجعية الميرزا الحائري مرجعيات عظام في النجف و كربلاء و قم ، استطاعت أن تقف في مصافها بكل هيبة و جلال . كما عاصرت مرجعية الحائري مرجعيات أخرى في إطار مدرسة آل البيت الحكيمة ، ولكنها استطاعت بكل ثقة خطف الأضواء منها ، حتى أصبحت تلك المرجعيات منطوية تحت سيطرتها ، و هيمنتها ، و علميتها أيضاً .

ولم يأت كل ذلك مصادفة ، ولم تحقق مرجعيته برنامجها العقائدي و الرسالي بمجرد التنظير الفكري . أو بإصدار الأحكام الفقهية فقط . لقد مر معنا قبل قليل كيف كانت مرجعيته إنسانية في نظرتها ، و اجتماعية في أدائها . و إذا تحقق برنامج المرجعية الإصلاحية و العقائدي ، فإن ذلك لم يكن ليتم لولا حركية المرجعية و نشاطها و تنقلاتها و انصهارها مع طبقات المجتمع الإسلامي من جهة ، و حركية و كلائها الذين جالوا في معظم دول

مدن العراق وإيران ودول الخليج الأخرى . ناذرين أنفسهم لله سبحانه وتعالى . فأصبحوا الذراع القوية لمرجعيته ، ولسانها المعبر ، و عينها الناظرة .

هذا التجوال الدائم لنواب المرجعية ، و وكلائها على جانب مهم في نشر كل أفكار المرجعية بدقة ، و تحقيق غاياتها السامية . بل إننا ومن خلال فهم هذا التجوال ، ورصده بدقة ، وتسليط الضوء عليه ، يمكن لنا فهم (ديناميكية) الوكلاء الرساليين . و تقديم صورة أشمل ولكنها مليئة بالتفاصيل الهامة ستعمق قناعاتنا بكل الفرضيات التي سقناها في الصفحات السابقة ، عند قرأتنا لترجمة الميرزا الحائري .

إن الاستثمار الأول والهام لمبادئ المرجعية الإسلامية و في وصول مرجعية الحائري إلى العديد من مدن العالم الإسلامي هو أبنائه . حيث أعدت مرجعية الحائري ثلاثة من الأبناء العلماء ، وهبتهم لبرنامجها العقائدي دون تردد . يقول الشيخ عبد الكريم العقيلي موضحاً عطاء حوزة الحائري في كربلاء ( أرفدت المجتمع الإسلامي الشيعي المقدس بعدد من المجتهدين و العلماء الأعلام وعلى رأسهم أولاده الثلاثة : آية الله الحاج ميرزا علي آقا ، و العلامة ميرزا محمد باقر المشهور ب ( ميرزا آقا ) و العالم الرباني آية الله الحاج ميرزا حسن آقا الاحقائي الحائري ، هذا بالإضافة إلى الكثير من العلماء من تلامذته المنتشرين في مناطق العرب والعجم يطول ذكر أسمائهم المقام ) رسالة في التفويض، ص ١٢ .

وقد انتشر هؤلاء العلماء في شتى بقاع الأرض ، كما أن الميرزا الحائري جال هنا وهناك كما مر معنا قبل قليل في سفراته لمشهد الكويت و الأحساء . لذلك فان مرجعية الحائري يحق لها أن تفاخر بأنها لم تكن يوماً مسجونة بين أروقة المسجد وقاعات الدرس ، و لم تختبر ذلك ( السجن الاختياري ) هدفاً . بل تنقلت وسافرت وأقامت في بعض البلاد الإسلامية عملاً بأية النفر .

و ليس من السهولة رصد تنقلات وسفريات الحائري بدقة ، لقصور الترجمات على الأحداث الرئيسية في حياة الحائري ، أو لتجاهل ترجمته كما أشرنا في الفصل السابق . إلا أننا نستطيع الجزم بأن الميرزا موسى قد سافر إلى الكويت ، و الأحساء ، و تبريز ، و مكة المكرمة ، و المدينة المنورة ، و مشهد وغيرها من المدن الإسلامية الأخرى . فقد أشار الحائري لسفرته إلى الأحساء عام ١٣٣٠ هجري ، واجتماعه بالشيخ الكبير محمد آل عيثن الأحسائي . الإجازة بين الإجتهد و السيرة ، ص ٦٠ . كما سافر إلى الكويت وأقام فيها حولا كاملا منذ عام ١٣٤٣ إلى ١٣٤٤ هجري وذلك عقب بناء الحسينية الجعفرية كما أشرنا ، إلا انه قطعاً قد مر بالكويت و أقام فيها إقامة قصيرة عند سفرته للأحساء عام ١٣٣٠ .

وحتى عام ١٣٣٥ هجري وهو تاريخ كتابته الإجازة لابنه الميرزا علي، يشير الحائري إلى زيارته إلى مشهد المقدسة مرتين ( و لما عزمتم لزيارة مولاي الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، في سفري الثاني سنة ألف و ثلاثمائة و اثنين بعد الثلاثين ( ١٣٣٢ ) و فقنا الله لزيارته مراراً أيضاً إن شاء الله ) الإجازة ، ص ٥٢ . و لا نعلم متى كانت زيارته الأولى إلا أنها قطعاً قبل هذا التاريخ . و ليس بالضرورة أن تكون سفرته لمشهد تلك هي الأخيرة ، بل أن هناك إشارة إلى زيارة ثالثة قام بها الحائري عام ١٣٣٥ بعد رجوع ميرزا علي إلى كربلاء حيث ( كان والده يريد السفر حينذاك في زيارة لمرفد الإمام الرضا عليه السلام ) الكلمات المحكمات ، ص ٢٩ . و في ( قرنان من الإجتهد و المرجعية ) صورة نادرة للميرزا الحائري في تبريز مع الأسرة العلمية المعروفة هناك بثقة الإسلام وجمع كبير من العلماء و المشائخ التبريزيين . و إذا دققنا النظر بهذه الصورة ، نجد أنها أخذت بمعية العالم المجاهد ميرزا علي ثقة الإسلام التبريزي . أي ان الصورة أخذت قبل عام ١٣٣٠ هجري ، لأن الميرزا علي ثقة الإسلام ، استشهد على يد المحتلين الروس عام ١٣٣٠ . هجري أي أن الصورة تعطينا دلالة قطعية على زيارة الميرزا الحائري لتبريز ، و ربما تكون

من ضمن فعاليات زيارته الأولى لها ، أو من ضمن فعاليات زيارته الأولى إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام .

وبالإضافة إلى سفراته تلك ، هناك سفرته الأولى للنجف الأشرف عام ١٣٠١ هجري للدراسة والإقامة فيها لمدة خمس سنوات ، و سفراته للحج ولزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

هذا تجوال مهم للميرزا الحائري ، وهناك تجوال مهم آخر لأبنائه و كلائه لكل المدن الإسلامية ، سعياً من المرجعية لإنجاز أهدافها السامية و تحقيقاً لبرنامجها العقائدي المتمثل في تعليم الدين الإسلامي ، ونشر فضائل آل البيت عليهم السلام ، و تعريف المسلمين بمدرسة آل البيت الحكيمة ، و بناء الإنسان المسلم عقائدياً من الداخل .

لذلك انتدب الميرزا الحائري لهذه المهام الجسام أبناءه الثلاثة ، و أخلص تلاميذه للقيام بتنفيذ هذا البرنامج العقائدي . وحينما نعاود قراءة تراجم أبناء الميرزا الحائري ، و تراجم وكلائه ، نتلمس بوضوح ذلك الترحال الدائم بين المدن الإسلامية . و نجد أن السفر و التجوال يأخذ عقوداً عديدة من حياتهم الشريفة . فالعلماء العقائديين قلة ، و العلماء القادرون على النهوض بهذا الواجب الإسلامي الكبير قليلون أيضاً . يقول صالح السليمي مشخصاً واقع العالم الإسلامي في ذلك الوقت ( لقد صادف في هذه الفترة أن نضب معين العلماء الذين على رأيه في فضل أهل البيت ، و قد تضاءلت همم القلة الموجودة منهم عن النهوض بواجب الدعوة إلى مراتبهم عليهم السلام ) الكلمات المحكمات ، ص ٣٠ . فما كان من الميرزا علي و بأمر من والده الميرزا موسى الحائري ، إلا أن لبي هذا الواجب منذ بدايات حياته و ألف ( حياة السفر فتنتقل بادئ الأمر بين سوق الشيوخ و البصرة و الكويت و البحرين و الأحساء و تبريز و مشهد وغيرها من البلاد ، ثم صار ينتقل بين الكويت و الأحساء و كربلاء . ثم بين الكويت و كربلاء حتى توفاه الله ) الكلمات المحكمات، ص ٣٠ .



وقد أقام الميرزا علي في الأحساء منذ عام ١٣٥٥ هجري حتى عام ١٣٦٩ هجري أو بدايات عام ١٣٧٠ . إلا أن الصحيح أيضاً أن الميرزا علي وخلال فترة استقامته تلك ، قد تنقل بين الأحساء و الكويت و كربلاء لأكثر من مرة . وخلال هذه المدة أيضاً أقام الميرزا حسن في الأحساء حولاً كاملاً في عام ١٣٦٣ هجرية . وقد تنقل الميرزا حسن هو الآخر إلى العديد من المدن الإسلامية بأمر من والده الميرزا الحائري . فمكث في أسكوء فترة من الزمن ١٣٥٥ هجري ، وفي تبريز ١٣٦٢ هجري ، بالإضافة إلى زيارته للنجف ومشهد ومكة المكرمة و المدينة المنورة و الكويت وغيرها من المدن الإسلامية الأخرى . و تنقل الميرزا محمد باقر بين الكويت و الأحساء و الهند . و في داخل العراق زار النجف و سوق الشيوخ . و أقام في مشهد و طهران و تبريز حيث توفي هناك .

ولم يكن الأمر مقتصرًا على أبنائه الثلاثة ، بل أن السفر و الترحال سمة نجدها عند كل وكلاء الحائري ، ويشير الشيخ كاظم الصحاف في (تذكرة الأشراف) إلى هذا الجانب بالذات من حياة السفر و الترحال لعلماء و مشائخ هذه المدرسة . ويشير بالتحديد إلى تنقلات أخيه الشيخ حسين الصحاف وكيل الميرزا الحائري، و تنقلاته هو أيضاً بأمر من الحائري كوكيل له بعد وفاة أخيه الشيخ حسين . فيقول في التذكرة واصفاً شطراً من حياته تلك ( اعتمد عليه الميرزا الحائري ، و أرسله إلى بلد سوق الشيوخ من العراق نائباً و وكيلاً مطلقاً في الأحكام الشرعية و الحقوق الحسبية، ثم من بعدها رجع إلى الكويت و وطن جده و أبيه ) ص ٤١ . و من جانب آخر يؤكد كاظم الصحاف تتلمذه و أخيه على يد الميرزا الحائري ، و تنقلهما من سوق الشيوخ لكربلاء ، و من الكويت إلى الأحساء، و من كربلاء للكويت كوكيلين للميرزا الحائري .

و يستمر هذا النهج في سعي المرجعية إلى إرسال الوكلاء إلى الأمصار في كل زمان من عمر مرجعيتها . فقد بعث الميرزا الحائري الشيخ

حسين الفيلي إلى سوق الشيوخ ليقوم بمهمة التبليغ الديني و التعريف بمدرسة آل البيت الحكيمة ، والى هذا يشير السيد الشخص في أعلامه ( و بعد أن أخذ قسطاً من العلم في كربلاء وعاد إلى الكويت من سفرته الأولى ابتعثه أستاذه الميرزا موسى الحائري ليكون وكيلاً عنه في مدينة سوق الشيوخ بالعراق لرعاية شؤون مقلدي الميرزا من الأحسانيين المقيمين هناك و غيرهم ) ج ١ ، ص ٥٠٤ .

كان وكلاء الحائري في حركية مستمرة من العمل و الترحال ناشرين فضائل آل البيت في كل مكان يحطون فيه . و فيما كان الميرزا عبد الرحيم بن ملا صدرا وكيلا للميرزا الحائري في تركستان و تاجيكستان و بلاد القفقاز من قره باغ ( أجوبة مسائل ) ص ٢ . كان وكلاء الحائري الآخرين يجوبون كل أرجاء العالم الإسلامي بشكل مدروس و منظم وبأمر من مرجعهم الحائري .

فلا نعتقد أنه من باب المصادفة فقط ، أن يتواجد الميرزا حسن في أسكوه و ضواحيها في عام ١٣٥٩ هجري عند انحسار النشاط التبليغي لأسرة حجة الإسلام المامقاني في تلك النواحي . وليس من مصادفة أن يعود الميرزا حسن للأحساء للإقامة هناك عام ١٣٦٣ هجري حين سافر الميرزا علي للإقامة في الكويت ، وفي نفس السنة التي توفي فيها الشيخ حبيب بن قرين وهو علم كبير من أعلام مدرسة آل البيت الحكيمة في الاحساء ، وأحد تلامذة الميرزا الحائري الكبار .

و ليس من باب المصادفة أن يعود الميرزا حسن للإقامة في تبريز من جديد عام ١٣٦٤ هجري أي بعد وفاة الميرزا أبو القاسم المامقاني هناك . وهي نفس السنة التي توفي فيها الميرزا موسى الحائري . و يعاود الميرزا حسن الإقامة في الكويت عام ١٣٨٦ هجري تاركاً كل

مسؤولياته ومشاريعه الدينية في أذربيجان لابنه الميرزا عبد الرسول ، و يبقى هو في الكويت بعد وفاة الميرزا علي .

و لنعد إلى الميرزا موسى الحائري نفسه وهو يحدد بوضوح أهداف و دواعي هذا الترحال الدائم ، ويشخص بدقة اختيار الوكلاء المجاهدين لتنفيذ هذه الأهداف ( يا ميرزا حسن ! لا حيلة لنا ، إنه الجهاد الأكبر ، وأنا لا أرى أحداً غيرك مؤهلاً و مستعداً لهذا الميدان ، فهى نفسك بأسرع ما يمكن ، واستعد للحرب الروحية في نصره أيتام آل محمد عليهم السلام وانذر نفسك لخدمة ولي العصر أرواحنا فداه ) قرنان ، ٢٤٥ .

كان الحائري مؤمناً إيماناً راسخاً ، بجدوى تنفيذ برنامجه العقائدي ، ويعد له الأفراد المؤهلين القادرين على تحمل تلك الحرب الروحية، التي تخلى عنها العديد من العلماء، كسلاً أو خوفاً من عدم إحراز الإستجابة . ويضيف الميرزا موسى الحائري مخاطباً ابنه الميرزا حسن، حين طلب منه السفر إلى إيران و بالتحديد إلى مدينة أسكوء ( وأما إختياري لك لهذا الأمر المهم و الخطير، و قولي بأنك أهل له ، فلا اعتبارات لحظتها وهي : إن أخاك الأرشد ميرزا علي هو اليوم في منطقة الكويت و الأحساء ، حيث يمارس نشاطه في خدمة الدين الحنيف ، وليس باستطاعته ترك الأمور هناك و الانتقال إلى أذربيجان، أما أخوك الثاني ميرزا آقا فهو في كربلاء يساعدني في أموري ، و وجوده ضروري لي و للعائلة و للناس الذين يتوافدون كل يوم إلى كربلاء جماعات لزيارة مرقد سيد الشهداء عليه السلام و سائر المشاهد المشرفة ، وللقائنا في هذه الحسينية . و أما أنت يا ميرزا حسن ، فمع وجود أخويك الجليلين ليس هناك ضرورة لبقائك و متابعة الأمور المذكورة ) قرنان، ص ٢٤٦ .

تلك هي كلمات الميرزا الحائري التي يوضح فيها أسباب اختياره للأشخاص للمهام الصعبة ، والمسؤوليات الكبيرة. ثم يعاود الميرزا الحائري ليحدد أساس تلك المهام و عامودها الفقري ( يا ميرزا حسن! أكرر

القول ، أسرع في تهيئة نفسك للرحيل ، ولا تفوت الفرصة لمساعدة هؤلاء  
الزفر المتبقين من المؤمنين ، و اسأل الله سبحانه و تعالى أن يمنحك توفيقه  
وأن يصاحبك المولى علي عليه السلام و دعاء أبيك ) قرنان ، ٢٤٦ .

ذلك هو البرنامج العقائدي الذي حددته مرجعية الميرزا الحائري، والذي  
قام بتنفيذه مجموعة كبيرة من العلماء والوكلاء و المريردين في شتى بقاع  
العالم الإسلامي في حركية واضحة . كان عنوانه العريض ترسيخ  
المفاهيم الأساسية لمدرسة آل البيت الحكمية عليهم السلام . ويهدف إلى  
إعداد جيل رسالي قادر على حمل و مواصلة مسيرة هذه المدرسة  
بالإضافة إلى بناء المؤسسات الدينية و الإجتماعية والخيرية .

## رابعاً : أول المجتهدين

بين من يقطنون القمة ، ومن يقطنون السفح مسافات بعيدة ، وطرق شتى وملتوية . لا يرغب من يسكن القمة في الهبوط إلى السفح ، ولا يستطيع ساكني السفح الصعود إلى القمة . ذلك لأن الفرق بين الساكنين ، ليس فرقاً تفضيلياً فحسب ، بل هو فرق تصنيفي وترتيبي أيضاً . وبين الترتيب الأول والترتيب الأخير أرقاماً عديدة ، لا يدرك دلالتها ، ومدى إتساع الهوة بين الرقمين ، إلا نفر قليل من الباحثين المنصفين . فليس الرقم الأول هو بأي حال من الأحوال صنو للرقم الثاني ، وإن إدعى البعض ذلك .

إلا أننا على يقين تام أن ساكني القمة ، يحملون الترتيب الأول ، وأن ساكني السفح يرتضون بالترتيب الأخير . ويدرك العظماء جسامة موقعهم المتقدم هذا ، ويتذوق مرارة الترتيب الأخير ، من يسكن على هامش التاريخ .

بل إننا نزعم هنا . بأن هناك مزاجان مختلفان في طبائع نفوس الساكنين . فساكني القمة تملك مزاجاً يقترب فيه الشموخ ، والنخوة ، والرحمة ، والبساطة . و يقترب ساكني السفح مزاج به الكثير من الغيرة ، والحسد ، والمرارة ، والحسرة . مزاجان متقابلان ، متعارضان ، متباعدان كتباعد الترتيب بينهما .

و إذا استنطقنا التاريخ ، وقلبنا صفحاته نستطيع القول بكل ثقة : إن المسافة بين الترتيبين الأول والأخير ، قد ساهمت هي الأخرى في صنع العداوات ، والبغضاء ، و الحروب بين الأفراد و الجماعات والشعوب .

أي أننا لا يمكننا الاتكاء على عامل وحيد كمحرك للتاريخ . فلا العامل الإقتصادي ، ولا العامل السياسي أو العرقي أو الديني ، هي من تحرك التاريخ منفردة . بل إن كل تلك وغيرها من محركات التاريخ البشري . و نضيف إليها نحن الآن المحرك النفسي . أو تلك ( المسافة ) التي صنعت كل تلك الحسد والغيرة والحسرة ، بين أصحاب الترتيب الأول ، ممن يسكنون القمة ، وبين أصحاب الترتيب الأخير ممن يسكنون السفح .

و إذا أراد ساكني السفح قصر المسافة البعيدة بينهما ، فلا يمكن قصرها إلا بأساليب الخديعة والمكر . و حينئذ سيجدون أنفسهم أنهم يسيرون في أماكنهم ، ولم يغادروا سفحهم خطوة واحدة . إلا أن المسافة ، هذه العامل النفسي ، و التي نجزم أنها من محركات التاريخ ، ليست بذئ بعد واحد . فإذا كان من في السفح يملك كل هذا الكره ، فإن من في القمة يملك الشيء الكبير من المحبة و التسامح والعفو . وهذا البعد من نفس ( المسافة ) يصنع التاريخ أيضاً .

### عصر الحائري :

إذا كانت تلك العوامل مجتمعة هي محركات التاريخ في شتى العصور ، فلماذا يشذ عصر الحائري عن تلك القاعدة العامة ! ولماذا يشذ ساكني لسفوح في عصره عن تلك الصفة ! أو لماذا تغاير العصور اللاحقة تلك السمة التي لازمت الإنسانية في عمرها الطويل !

بل وكيف للعصور اللاحقة أن تشذ عن تلك السمات الطبيعية ، وقد بينا في ( خطأ المترجمين ) حيفهم و جورهم على أصحاب الترتيب الاول . و أوضحنا كيف أن المترجمين حاولوا إزاحة الميرزا الحائري وهو أول المجتهدين ، من موقعه في القمة ، بأساليب ملتوية عديدة . وعلى الرغم من تخرصات المترجمين ، إلا أننا على ثقة تامة بأن الميرزا الحائري هو

أول المجتهدين الشيعة العظام من مدرسة آل البيت الحكمية ، الذين لحق بهم ذلك الحيف و التجاهل المقصود من قبل المترجمين المعاصرين . فكتب التراجم العامة نسيته تحت أعدار شتى . و مصادر التراجم الشيعية تجاهلته بناءً على مزاعم أخرى .

ومن خلال عصر الحائري يمكننا النظر أيضاً إلى ذلك التوتر اللامبرر، وإلى تلك الشحناء بين أبناء المجتمع الواحد و المذهب الواحد . الأمر الذي أوجب على الميرزا الحائري أن يعمل تبعاً لمزاج طبعه ، في الوصول إلى ساكني السفح، و يعمل طبقاً لما يمليه عليه ضميره ، في تضמיד جراح مجتمعه، و بلسمة جراحه ، ولم جماعته المتنافرة المتناحرة. و بذلك يكون الميرزا الحائري أول المجتهدين الذين يعملون على إزالة أسباب العداوة المفتعلة بين أبناء المجتمع الواحد في ذلك العصر ، بعد أن تحدث عن الاختلاف بأنه مأساة يهدد الأمة ، ويقوّض كيانها . وفي (إحقاق الحق) يحدد ذلك الأمر بوضوح: (ومن أعظم ما حدث في هذا الزمان المتأخر حتى افتترقت الإمامية إلى فرقتين عظيمتين هو الاختلاف الذي حدث من أوائل المائة الثالثة عشر من الهجرة ، زمان اشتهار العالم العلامة الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي - قدس سره الشريف - حيث أن الأساطين رضوان الله عليهم اختلفوا فيه على اختلاف عظيم ، فهم بين ممجد و مفخم ومجيز له إجازة معتبرة وهم أساطين علماء عصره ومشاهير فقهاء دهره ، وبين مكفر له ومثبت عليه عقائد فاسدة ، و مذاهب باطلة كاسدة ، و مخرجة عن ربة الإسلام ، و الطريقة الجعفرية . حتى كتبوا عليه رسائل و طوامير ، و سطوروا عليه أساطير ، وهم من أهل زمانه بعض فحول علماء المعقول ، و بعد زمانه جماعة منهم ومن فقهاء المنقول . وبين متوقف في حقه ، و ساكت عنه ، لا قادح ولا مآدح ) ص ٢٩ - ٣١ .

وبهذا الوصف التاريخي ، ندرك أن الميرزا الحائري هو أول المجتهدين الذين تناولوا ، و شخصوا داء ( الاختلاف ) دون إسفاف ، وترفعوا عن

كل افتراء . و وضع الحائري ( الخصم ) في الموضوع اللائق به كخصم دون أن يسميه إحتراماً له من جهه ومن جهة أخرى اجتناباً لإثارة دائرة الصراع من جديد . إلا أننا لابد ان نشير هنا إلى أن ( الفرقتين العظيمتين ) التي أشار إليها الميرزا الحائري ، ليست سوى الشيعة الإمامية ، التي صرح بها قبل ذلك ، وجاءت إشارته لها بالفرقتين ، إشارة إستنكارية لواقع حال مفتعل . وجاءت تسميته لها بالفرقتين تسمية مجازية ، محاولاً إيضاح أن الإختلاف في الفرقة الواحدة ، مأساة يهدد الطائفة الإمامية بأكملها ، و يقسمها إلى فرق و طوائف و شيع .

يقول الحائري في ( إحقاق الحق ) مشخفاً أبعاد الصراع في تلك المرحلة الزمنية ( ومنه سرى الاختلاف إلى طائفة العوام و الجهال والأنعام ، فاتسعت دائرته و ثارت نائرتة ، فضيعوا في بعض الأمصار الحقوق الإسلامية ، و قطعوا الروابط الدينية ، وجعلوا يتنازرون بالألقاب و يتغامزون بلا توقف ولا حجاب ، بل أدى في بعضها إلى سفك الدماء ، و هتك الأعراض ، و تحليل الحرام ، و أعمال الأغراض ، حتى عوملوا في بعض البلاد معاملة أهل الحرب ، ولم يبالوا بكل أذية و قتل و نهب ، و صار المرء يتبرأ ويفر من جده و أبيه و أمه وأخيه ، و صاحبتة و بنيه ، وفصيلته التي تؤويه ) ص ٣١ . و منذ أن ميز الحائري الليل من النهار ، وهو يتحسس هول هذا الصراع ، و يدرك فداحته ، و يتألم لاتساعه: ( فكان عليّ هما عظيماً ، فما زال يزداد حتى أغصني الشراب و الطعام ، و أقلقني عن الوسادة و المنام ) ص ٣١ . فما كان عليه إلا أن ينهض ليوحد كلمة الأمة ، و يلم شملها ، و يزرع بذور الفتنة منها ، فكتب ، و عمل ، و مد جسوراً من الفهم بين أبناء الأمة الواحدة . و بذلك يكون بحق أول المجتهدين الذين عملوا على توحيد صفوف الأمة على أساس فكري واحد ، و في ظل قواسم مشتركة ، بعد الاختلاف المفتعل حول مدرسة آل البيت الحكمية و زعيمها الشيخ الأوحد .



## علامات النبوغ :

نستطيع القول و نحن على ثقة تامة : أن إلى القلة التي سكنت القمة يرجع الفضل في تقدم الحضارات و رقيها . وإذا كان أهل السفح ، ينتفعون - أحياناً - بهذا الرقي و التقدم ، فإنهم في الوقت ذاته ، لا يرتاحون عادة لتفوق أهل القمة ، لأسباب عديدة أشرنا إليها في الفصول السابقة .

والميرزا الحائري ، من هؤلاء القلة النابغين الذين إحتلوا الترتيب الأول في صدارة الأمة الإسلامية ، على نحو منفرد ، و من بين أبرز علمائها و مفكريها ، فانبرى له أصحاب الترتيب الأخير غاضبين مدممين .

و إذا رجعنا لترجمة الميرزا الحائري ، لإعادة قراءتها ، و مقارنتها بغيرها من التراجم الأخرى لعلمائنا المجتهدين ، و بالتحديد بتراجم مجتهدي مدرسة آل البيت الحكيمة لوجدنا في ترجمته تميزاً و تفوقاً تحتل من خلالهما ترتيباً متقدماً بين أصحاب تلك التراجم .

و يمكن لنا تلمس علامات النبوغ عند الميرزا الحائري ، منذ بدايات حياته المبكرة . فهو أول المجتهدين في تاريخ مجتهدي مدرسة آل البيت الحكيمة ممن يتمكن من ختم القرآن الكريم خلال خمسة شهور ، وهو صغيراً لم يتجاوز السادسة من العمر . فتراجم حياة هؤلاء المجتهدين الكبار ، لا تشير إلى مجتهد قبله تمكن من ختم القرآن الكريم خلال تلك المدة القصيرة و في هذا العمر الصغير . وإن صحت تلك المعلومة - وهي صحيحة - ستكون العلامة الدالة على نبوغه ، باعتباره أول المجتهدين الذين يسكنون القمة . و من علامات النبوغ عند الحائري ، أساتذته الكثر ، فكما جيئ له بمعلم ليعلمه علماً من علوم النحو و الصرف أو علم المنطق و المعاني ، أو علم البيان و البديع ، أتم تلك العلوم في مدة قصيرة ، فيؤتى له بمعلم آخر .

وإذا قرأ كتاب ( معالم الأصول ) على يد معلم ، فما يكاد ينتهي منه ، حتى يجلس أمام معلم غيره للحكمة وهكذا حتى عرف بأنه أول المجتهدين من هذه المدرسة الذي أتم تعليمه على يد عدد كبير من الأساتذة .

و بحكم هذا التعليم المكثف على أيدي هؤلاء المعلمين الكبار ، وبهذه السرعة المدهشة ، أصبح أول المجتهدين من مجتهدي مدرسة آل البيت الحكيمة من يصل إلى مرحلة الاجتهاد وهو لم يكمل العشرين من سنوات عمره ، ولا نشك في وصوله لدرجة الكمال تلك ، في هذا العمر ، فقد أتت إليه الجموع من مقلدي والده ، وهو ابن اثنين وعشرين سنة ، تطلب منه قبول المرجعية . وهو مؤهل لحملها . وقبل وفاة والده بفترة كان يأمل في الإستجازة منه ، إلا أن الحياء يمنعه ، وعاجلت يد المنية والده الميرزا محمد باقر . يقول الحائري في ( الإجازة بين الاجتهاد والسيره ) : ( ولم أتمكن في تلك المدة حياءً منه وتعظيماً له من الإستجازة العامة ، وكنت أومل نفسي بيوم وغد و أسبوع وشهر ، إلى أن رمى بسهم عناد الزمان ) ص ٥٨ .

وإذا كان الميرزا الحائري ، هو أول المجتهدين من هذه المدرسة ممن يصل إلى درجة الكمال وهو في هذه السن المبكرة ، فإنه أول المجتهدين ممن يتصدون لأمر المرجعية العامة وهو في ريعان شبابه . وما تصديه لأعباء المرجعية وهو في السابعة والعشرين من العمر ، إلا دلالة على قدراته القيادية ، ومهاراته الذاتية ، وذكائه العالي .

هذا النبوغ والذكاء اللافتين للنظر في سيرته ، جعلت منه أول المجتهدين الشيعة القائلين لطلبتهم : ( من أتاني برواية أو حديث لم أطلع عليه فله ما يطلب ) وما ذلك القول منه إلا لمعرفته بنفسه بالحفظ والإطلاع والإحاطة بغالب الأخبار . ولم تكن مقولة الحائري تحدياً ، ولا تفاخراً ، فساكني القمة لا يجيدون تلك اللغة . بل إنها الثقة المطلقة بإحاطته الشاملة لروايات أهل البيت عليهم السلام . وهو التحدي العلمي الشريف

بين الأستاذ وطلبته وعلامة من علامات نبوغه الذي لازمه طوال مسيرته العلمية ، بل طوال حياته الطويلة .

هذا النبوغ الذي تجلّى مرة في تحصيله العلمي ، وفي فقاوته المبكرة ، وفي حكمته ، تجلّى مرة أخرى في نتاجه العلمي و الفكري .

و إذا عمد الباحثين لدراسة النتاج المكتوب للميرزا الحائري ، فسيضعونه من بين أوائل المجتهدين الشيعة ممن كتبوا في فن السيرة العلمية قبل قرن من الزمن . فهذا الفن الذي يعرف بالترجمة الذاتية للمسيرة العلمية للشخص ، لم يكن معروفاً عند كتاب العربية ، إلا أن إجازته لابنه الميرزا علي تعد بحق أولى التراجم العلمية الذاتية في الأدب العربي . لقد كتب الشيخ أحمد الأحساني شيئاً من سيرته الذاتية ، و كتب البعض الآخر كل سيرته الذاتية . إلا أن هذا الفن عدّ في الأصل فن غربي، لم تعرفه العربية إلا في سنواتها المتأخرة .

وبالإضافة إلى إجادته الكتابة في فن السيرة العلمية، فإن الحائري هو الكاتب و المترجم المتعدد اللغات ، فهو كما يجيد اللغة العربية يجيد الفارسية و التركمانية تحدثاً وكتابة . وبذلك فليس غريباً أن يكتب باللغتين العربية و الفارسية ، وليس غريباً أن يكون أول المجتهدين من هذه المدرسة الحكمية ، من يقوم بدور المترجم ، فيترجم كتاب ( أصول العقائد) للسيد كاظم الرشتي من الفارسية للعربية . بالإضافة إلى ترجماته الأخرى من الكتب الفارسية ، التي تصدى لترجمتها للرد عليها مثل (تنزيه الحق) للميرزا محمد حسين الشهرستاني، أو تلك التي ترجم بعضها من عبائرها، أو مما أثبتته مترجماً من الفارسية للعربية ، ومن العربية للفارسية - نصاً أو معنى - في سفره الخالد ( إحقاق الحق ) .

أما ( إحقاق الحق) فهو علامة صارخة على نبوغه ، وتمرسه بالحكمة الإسلامية ، ومظهراً لقدراته العالية في الحفظ ، والإطلاع ، والكتابة ،

والمحاورة ، و تفنييد إدعاءات الخصوم ، وتصحيح شبهاتهم . يقول رياض طاهر أمين مكتبة الحائري العامة بكر بلاء ، في تقديمه للكتاب ( أثبت كل هاتيك المطالب بدليل العقل المستنير بنور الله مؤيداً بمحکمات من الذكر الحكيم و أحاديث النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الميامين عليهم السلام ، مستعيناً بالأدلة الثلاثة من دليل الحكمة و الموعدة الحسنة و المجادلة بالتالي هي أحسن ) ص ٢٠ .

وبكتاب ( إحقاق الحق ) يعتبر الميرزا الحائري أول المجتهدين من عائلة الأسكوي ، من يلقب هو وتلقب أسرته باسم كتابه . فيسمون ( بالأحقاقي ) بدلا من الأسكوي . بل أن لقب الأحقاقي يلحقه البعض من ناشري الكتب ، حتى بوالده الميرزا محمد باقر ، رغم تقدم الوالد ، وتأخر اللقب . وبذلك يكون الميرزا الحائري أول المجتهدين الشيعة ممن يعطي لقبه لأبيه . فيلقب الوالد بما اشتهر به الإبن . وما ذلك إلا لشهرة الكتاب ، وثقله ، وأهميته ، و الدال على نبوغه و تفوقه و عظمته .

وليس أدل على نبوغه الفقهي أيضاً إلا رسالته العملية ( لطائف الدرر في الفقه ) التي طبعت عام ١٣١٦ هجري ، وله من العمر سبع وثلاثون سنة إلا أنه قطعاً قد كتبها قبل تاريخ طباعتها بسنوات عديدة . و بذلك يصبح الميرزا الحائري أول المجتهدين من المدرسة الحکمية من يكتب رسالة عملية فقهية في هذه السن المبكرة .

### عطاء المرجعية :

شاء بعض الكتاب أن يُقيم بين مرجعياتنا الشيعية ، حواجزاً لا تخترق . وأن يبني أسواراً عالية بين أفكار مدارسها ، لا يمكن القفز عليها . حتى يبدو أن لا صلة بين رأي أصولي هنا ، ورأي أصولي هناك ، ولا منشأ بين مسألة فقهية آتية من قم و أخرى من كربلاء .

و شاء بعض المؤلفين ، ألا يعترف بتلك الرابطة الاسلامية الوثيقة و العروة الوثقى ، التي تشد كل مرجعيات الشيعة إلى بعضها بعض . وينكر ذلك القاسم المشترك الأكبر ، الذي يوحد بين مرجعياتنا ، و مدارسنا ، تحت راية التوحيد العالية ، و التي نحتمي جميعاً تحت ظلها و قيمها و مبادئها .

ولذلك لا بد أن نشير إلى نقطتين هامتين ، و نحن نتحدث عن عطاء المرجعية . الأولى : إننا لا نرغب أن نختصر التاريخ بالعامل الديني فقط أو ان نختزل عطاء الرواد الأوائل في شتى مجالات المعرفة ، في عطاء رجال الدين . أما الثانية أن لا يتوهم القارئ ، اننا نسعى لحصر كل عطاء مرجعياتنا الدينية في عطاء مرجعية واحدة .

إلا أننا بالمقابل نرى رجحان تفسير التاريخ بالعامل الديني ، لرجحان المعتقدات الدينية على المعتقدات الأخرى . و لبقاء الدين دوماً أهم العناصر في حياة الأمم و الشعوب ، و أبرزها تأثيراً . وإلى ذلك يقول المؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون في ( سر تطور الأمم ) واصفاً تأثير الفعل الديني ( بأن أكبر حوادث التاريخ التي أنتجت أعظم الآثار هو قيام الديانات و سقوطها ، و أول المسائل الأساسية في الأزمان الغابرة وفي الأزمان الحاضرة المسائل الدينية ) ص ١٢٩ .

ومن جهة أخرى فإننا نؤمن بأن مرجعية الميرزا الحائري، لا يمكن فصلها ولا عزلها عن سياقها التاريخي . فجزورها تمتد إلى أعماق الحوزات الشيعية في النجف و كربلاء و قم ، أثرت فيها و بلورتها و صاغت روحياً و عقائدياً . كما أننا لا يمكننا فصل دور مرجعية الحائري عن دور المرجعيات الشيعية الكبرى في ذلك العصر . بل أن نجاح مرجعية الميرزا الحائري، ليس هو إلا إمتداد لنجاح المرجعيات الشيعية الأخرى . أي أننا ننظر إلى المرجعيات الشيعية كوحدة واحدة، لا

نفصلها إلا نظرياً فقط ، قصد التحليل والدراسة و البحث ، إلا أنه لا يمكن لنا أن نفصلها عملياً .

و بذلك المفهوم لدور و عطاء المرجعيات الدينية في عالمنا الإسلامي ، يمكن القول أن عطاء مرجعية الميرزا الحائري قد كان متميزاً ، ومنسجماً ، ومتكاملاً مع عطاء المرجعيات الأخرى . و لعل من أكبر عطاء مرجعيته أولاده المجتهدين الثلاثة . و بذلك يصبح الميرزا الحائري أول المجتهدين ممن يعطي الحوزات العلمية ثلاثة من أبنائه العلماء العاملين . إلا أن مرجعية الميرزا الحائري قطعاً أُرِدفت المجتمع الإسلامي بعدد كبير آخر من العلماء الكبار المنتشرين في كل البلدان الإسلامية . قرنان من الاجتهاد و المرجعية ، ص ١٣٧ .

و إذا أعدنا قراءة التاريخ الذي تولى فيه الميرزا الحائري الشأن المرجعي ، فهو بعد عودته من النجف الأشرف عام ١٣٠٦ هجرية . و بذلك يكون عمره إبان تسلمه المرجعية سبع و عشرين سنة . و لهذا فإن مرجعيته تعد من أصغر المرجعيات الشيعية سنأ . بل إنه أول المجتهدين العظام ممن يتولى أمور المرجعية كاملة و هو في هذا العمر الصغير من مدرسة آل البيت الحكيمة ، إلا أنه كان حائزاً على أعلى درجات الكمال و الرفعة . قبل ذلك بزمن طويل .

و من عطاء مرجعية الميرزا الحائري ، تأسيسها للمراكز الدينية و العلمية في كربلاء ، و تبريز ، و الكويت ، و الأحساء . بل نستطيع القول و نحن على يقين إن من أولى المراكز الدينية التي تم تأسيسها ، كان في الكويت - مسجد الصحاف - من عطاء مرجعية الميرزا الحائري . قرنان من الإجتهد و المرجعية ، ص ١٦٥ . و كذلك في الأحساء - مسجد الرقيات - و بذلك يكون الميرزا الحائري أول المجتهدين من مدرسة آل البيت الحكيمة ممن يؤسسون تلك المراكز الدينية و العلمية و الاجتماعية في شتى بقاع الأرض . و هو أول المجتهدين من هذه المدرسة ممن

ينشئون مركزاً دينياً في كربلاء . فقد عمد الحائري لشراء دار الداماد ، و أسس مكانها حسينية الحائري ، ومكتبة عامة ، كما مر معنا في الفصل السابق . ولا تشير سيرة والده الميرزا محمد باقر الاسكوي ، ولا سيرة السيد الرشتي ، ولا غيرهما من مراجع هذه المدرسة ، قيام أحدهم ببناء أي مؤسسة علمية أو دينية قبله . نعم كانت دار السيد الرشتي كما هي دار الأسكوي بمثابة المركز الديني الكبير ، مكاناً للصلاة ، والدرس ، و التجمع . و عند التعرض لسيرة الرشتي ، يصف السيد الطالقاني دار السيد الرشتي ( وكانت داره ملتقى كبار الرجال ، و مختلف طبقات الناس من كل المدن العراقية ، كما كانت حكومتا ايران و آل عثمان تكتنن له احتراماً وافرأ ، وكان السفراء و القناصل وغيرهم من الشخصيات التي ترد إلى بغداد وكربلاء من مختلف البلاد الإسلامية تحرص على لقائه و زيارة داره ) ص ١٦٤ .

بل إن الميرزا الحائري هو أول المجتهدين من هذه المدرسة ، ممن يقوم بتأسيس مكتبة ضخمة ، هي مكتبة الحائري العامة . تحتوي على آلاف الكتب الأصولية و الفقهية و العلمية . و فيها عشرات المخطوطات القديمة بل أن هذه المكتبة ساهمت بدور كبير في نشر فكر آل البيت الإسلامي ، و ترسيخ فضائل و حكمة آل البيت عليهم السلام . و بذلك انضمت مكتبة الحائري العامة للعديد من المكتبات العامة التي أسسها مراجع الشيعة العظام قبل مكتبة الحائري وبعدها ، لدعم مسيرة الفكر الشيعي الأصيل .

على الرغم من شهرة الشيخ احمد الأحسائي العلمية و السيد كاظم الرشتي ، و على الرغم من وجود بعض الوكلاء المحليين لبعض مراجع مدرسة آل البيت الحكيمة ، إلا أن الميرزا الحائري هو أول المجتهدين الذي تتخذ مرجعيته الوكلاء لها في عدد كبير من أقطار العالم الإسلامي . و يكون لوكلائه هذا الحضور و التعدد في معظم المدن العربية

والأعجمية . فراجع ما أشرنا إليه في الفصل السابق من حركية الوكلاء، حيث تعرضنا بالتفصيل إلى وكلاء مرجعية الميرزا الحائري و إنجازاتهم.

و بالطبع لا يمكننا إحتواء عطاء مرجعية الميرزا الحائري ، بكل جوانبها العلمية والفكرية ، فهذا البحث قد خصص لدراسة تاريخية بحثه ، ولإعادة قراءة ترجمة الحائري من زوايا جديدة مغايرة . ولم يخصص لقراءة الفكر العلمي عند الحائري بأبعاده الأصولية ، والفقهية ، والحكمية . و إننا نهيب بكتابنا الأفاضل أن يواصلوا البحث والكتابة ، للتركيز على الجانب العلمي في شخصية الميرزا الحائري .

ولكن لابد من إشارة سريعة هنا - كما ألمحنا في (علامات النبوغ) إلى كتاب إحقاق الحق - إلى أن الميرزا الحائري هو أول المجتهدين الشيعة ممن تصدى لدعوى ( وحدة الناطق ) التي قالت بها مدرسة كرمان . و بالطبع فإن مؤلفات السيد الرشتي لا تتعرض لهذا النوع من الاختلاف الأيدلوجي حول مفهوم ( وحدة الناطق ) . وكذلك مؤلفات الميرزا محمد باقر الأسكوئي ، إلا أن مؤلفات الشيخ حسن كوهر ، يشير أحد عناوينها إلى هذا المعنى ( رسالة في الرد على الحاج كريم الكرمانى ) . ولكن الميرزا الحائري وكما تشير العديد من القرائن ، أنه هو المتصدي الحقيقي قولاً وعملاً لمناقشة هذا المفهوم لاعتبارات عدة ، ذات علاقة بانتشار المفهوم في المجتمع الإسلامي . و تبع الميرزا الحائري عدد من مجتهدي مدرسة آل البيت الحكيمة في هذا المنحى أمثال الشيخ حبيب بن قرين .

وقد كانت الدعوة إلى وحدة الناطق ، تستند على مقولة إن من مات ولم يعرف هذا الناطق ، فقد مات ميتة الحاد وكفر وجاهلية ، بل أن أعمال المكلف من صلاة و حج و زكاة ، هباء منثوراً من دون ولاية هذا الناطق .



وحول هذا المفهوم اختلف الشيعة ، و قام الميرزا الحائري بالتصدي لهذه الدعوى . يقول ميرزا علي الأحقائي في عقيدة الشيعة ( جزی الله الوالد الماجد عن الإسلام خير الجزاء ، حيث أفرد رسالة في إبطال وحدة الناطق ، وهو الذي هدم بنيانها وخرّب قواعدها ، و أبطل عنوانها ، ولولا رده و إبطاله لهذا المذهب الباطل لسرت شرارته ) ص ٣٦ .

وبالإضافة إلى ( رسالة في إبطال وحدة الناطق ) التي ألفها الميرزا الحائري ، فإنه أفرد مقالة في ( إحقاق الحق ) وهي المقالة الرابعة عنوانها في ( إبطال القول بوحدة الناطق ) ولم يدع حجة لهم إلا و دحضها ، ولا دعامة إلا هدمها ، ونزه كتب الشيخ الأوحّد وكتب السيد الرشتي عن هذا المفهوم .

و نشير سريعاً إلى أننا نعتقد أن الميرزا الحائري له رسالة منفصلة في وحدة الناطق ، بالإضافة إلى المقالة الرابعة في ( إحقاق الحق ) والتي تتشابه معها في العنوان . إلا ان المترجمين للميرزا الحائري ، أسقطوا الرسالة الأولى من مؤلفاته سهواً ، أو ظناً منهم إنها ليست سوى المقالة الرابعة في ( إحقاق الحق ) . وهذا فيض من عطاء مرجعيته .

و تميزت مرجعية الميرزا الحائري - كما مر معنا - بأنها مرجعية منفتحة على كل المدارس الفكرية الشيعية ، و التيارات العلمية تؤثر فيها و تتأثر بها . إلا أن الميرزا الحائري هو أول المجتهدين من مراجعنا العظام ، ممن لا يسجن نفسه بين الفرض وبين الدرس . بل عاش الميرزا الحائري دارساً ومدرساً ، ومؤلفاً وباحثاً . وعاش متنقلاً بين بلدات العالم الإسلامي ، فكان الحائري أول المجتهدين من مراجع مدرسة آل البيت الحكيمة ممن يزور الأحساء عام ١٣٣٠ هجرية ، و أول المجتهدين ممن يزور الكويت أيضاً في نفس العام ، و ذلك قبل إقامته فيها لمدة عام عقب بناء الجعفرية . وبذلك يكون أول المجتهدين ممن يقيمون في دولة الكويت من مراجع الشيعة العظام في تاريخها المعاصر .

## دلالات التكامل :

وإذا كان الدين هو المحرك الأهم في صناعة أحداث التاريخ ، فإن الأخلاق هي الأخرى لها تأثير في حياة الأمم ، يفوق تأثير العقل و المال و السلاح . و يعطي المؤرخون أمثلة عديدة على سمو الأخلاق على العقل . فقد كان الرومان أرجح عقلاً من أجدادهم ، إبان سقوطهم . إلا أنهم سقطوا لأنهم فقدوا صفاتهم الأخلاقية ، فأضاعوا المثابرة و العزيمة و الجلد الذي لا يعرف الوهن .

و وجود الخلق لا يعني نفي العقل بداهة ، إلا أن خلق كل أمة من الأمم هو العلة الرئيس في تطورها و تقدمها ، بعدما رسم لها حاضرها . لذلك فإن الخلق - الأخلاق - لا العقل هو الذي تبني عليه الكيانات البشرية دولها و حضارتها ، و تؤسس المراكز الحضارية ، و تبني شوامخ تقدمها . بل إن الخلق هو الذي يجعل امماً خاملة ، و أخرى ناهضة ، تعمل - بعقلها- لمسابقة الركب الحضاري . يقول لوبون : ( الخلق هو الذي مكن ستين ألف انجليزي من إخضاع مائتين وخمسين مليوناً من الهنود وكثير من هؤلاء في مستوى واحد معهم من العقل . و بعضهم يفوقونهم جداً في الفنون الراقية ، و غور المباحث الفلسفية . و الخلق هو الذي جعلهم على رأس مملكة استعمارية هائلة لم يعرف التاريخ نظيراً لها حتى الآن ) ص ٥١ . إلا أن جوستاف لوبون لا يصادر العقل طبعاً ، و بمنطق لوبون هذا ، ينتصر الخلق الهندي المتمثل في قوة الإرادة ، و الإتحاد خلف قيادة المهاتما غاندي ، و إجبار الإنجليز على الاندحار عن القارة الهندية . ولا بد أن نشير سريعاً إلى أننا نتفق مع جوستاف لوبون في أسس تطور الأمم ، و نختلف معه في الأمثلة التي يأتي بها للتدليل على رأيه .

والمزاج الأخلاقي عند الأمم ، هو بالدرجة الأولى خلق قاداتها و علمائها ، وما يمتلكونه من صفات الإرادة والحلم ، والصبر ، و الشجاعة التي هي بالنهاية خلق الأمة الذي به تسود على غيرها من الأمم .

و في خلق مراجعنا ، و مجتهدينا ، و مفكرينا ، وقادتنا ما يجعل أمتنا الإسلامية قادرة على السيادة الحضارية ، وأن تخلقت سيادتها المادية في زمن من الأزمان .

ومن خلال هذا الفهم للخلق نفهم دلالات التكامل ، في شخصية الميرزا الحائري . تدلنا عليه العديد من الإشراقات في ترجمته . في مقدمتها إمامة صلاة الجماعة في حرم الإمام الحسين . فما أن اغتُصب مكانه للصلاة ، إلا أن أصبح أول المجتهدين الشيعة ، ممن يتنازل عن حقه في مكان الصلاة ، تجنباً لهتك الحرم المقدس للإمام الحسين . ويقول كلمته المشهورة ( هيهات أن أكون سبباً لهتك الحضرة وعدم الإحترام للإمام عليه السلام ، و سبباً لسفك الدماء لأجل الإمامة ، وصلاة الجماعة . هيهات أن أتبع أهواء العوام في هذه الأمور بعدما جاءني من العلم ) إحقاق الحق ، ص ٢٥ . تلك حكمته وهو ابن إثنين وعشرين سنة ، تتضاءل عندها حكمة الشيوخ ، و تنحني لها العقول .

أما الدلالة الثانية لتكامل الخلق في شخصية الميرزا الحائري ، هو تركة المرجعية ، والإمامة ، والرياسة الظاهرية ، غير عابئ بزدحام المؤمنين عنده ، واجتماعهم عليه في المرجعية والصلاة . بل ترك كل ذلك ليصبح أول المجتهدين الشيعة الذين يرفضون الإمارة الدنيوية ، والزعامة الدينية ، لينهض ظاعناً إلى النجف الأشرف لتكميل نفسه وعلومه ، وشحذ كمالته النفسية والفكرية . وهو المجتهد العليم . فأصبح مثلاً للتقوى والزهد والورع .

ومن دلالات التكامل في شخصية الحائري إنه ولد فقيراً ، وعاش فقيراً ، ومات فقيراً . يقول ابنه ميرزا علي في وصف تلك الحالة ( كان صابراً على مر الزمان ومضض الدهر ، وغالباً كان مديوناً حتى ارتحل من الدنيا ، ودار سكناه مرهونه بستمائة وخمسين ديناراً عراقياً ) وبذلك يكون أول المجتهدين الفقراء من مدرسة آل البيت الحكيمة في زمانه ، الذي عرف برفاهية العيش في ذلك الوقت ، و في مكانه في العراق تحديداً - الهلال الخصيب - الذي يسمى بأرض السواد . فلم تغره الدنانير ، ولا الذهب و الفضة التي تحمل إليه ، في أخذ حقه الشرعي منها ، والتوسيع على نفسه وعياله . بل ينفقها بسخاء على بناء المساجد ، و الحسينيات ، و المدارس و يهبها إلى المعوزين و الفقراء وهو أوج . وهكذا هو ديدن مراجعنا في كل زمان ومكان قبل وبعد مرجعية الميرزا الحائري .

ولم يجبره الفقر على الهجرة من كربلاء . فقد ولد فيها و عاش فيها ومات على ترابها . و بذلك يكون أول المجتهدين من أعلام مدرسة آل البيت الحكيمة ممن يولد و يعيش و يموت في كربلاء المقدسة . راجع ما كتبناه في ( ابن الأمير ) عن عروبة الحائري .

و إذا كانت المرجعيات في ذلك الزمان ، تقاطع المدارس الإسلامية النظامية ، وتعدّها شراً مطلقاً . ودون أن تقدم تلك المرجعيات البدائل الأخرى . كما فصله البهادلي في كتاب ( الحوزة العلمية في النجف ) . بل أنها تفتي بحرمة الإنتماء إليها ، حتى لو أن من أنشأها من رجال الدين و الوجهاء النجفيين . وفي هذا الجو العدائي للمدارس النظامية ، يتصدى الميرزا الحائري لهذا الأمر ، فيصبح أول المجتهدين الكبار ممن يرسلون أبنائهم إلى المدارس النظامية ( المدرسة الحسينية الإيرانية ) . بل و يسعى لتأسيس و لإفتتاح المدارس النظامية ، خارج النجف و كربلاء . حيث أمر وكيله في أسكوه حجة الإسلام السيد رضا آقا الحائري الأسكوي ، بإنشاء أول مدرسة حديثة في أسكوه ، وسط ترحيب الأهالي هناك . قرنان، ص ٣٩ . و بذلك يكون أول المجتهدين في ذلك الزمان ممن

يؤسس و يأمر بإفتتاح المدارس الإسلامية الحديثة ، و الإلتحاق بالتعليم النظامي .

و إذا أعدنا قراءة ترجمة الميرزا الحائري ، نجد ذلك التكامل المهيّب في شخصيته . هذا التكامل اللافت في نبوغه الفقهي ، و حافظته الواعية ، و مهاراته القيادية ، بل وفي تعامله السلوكي الرفيع مع محبيه و مبغضيه على حد سواء ، ندرك أي قيادة تسلمها ، وهي طائعة له . يقول الميرزا علي ( محققاً مدققاً أبي النفس على الطبع ، ذا وقار عظيم و سكينه مهيبه ، يخاطب الجاهل بالسلام إذا أساءه بالكلام ، حسن التقدير ، جيد التحرير ، حافظاً مطلعاً ) و من كان هذا شأنه يحق له أن يكون أول المجتهدين ممن ينفرد بالزعامة الدينية الشاملة ، و المرجعية المطلقة في إطار مدرسة آل البيت الحكمية ، رغم وجود العديد من مجابليه من المجتهدين الكبار ، أمثال ميرزا موسى ثقة الإسلام في تبريز ، و الشيخ محمد بن عيثن ، و الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي ، و السيد ناصر السلطان في الأحساء ، و فيهم الأستاذ و الزميل . بالإضافة إلى مجابليه - عقب ذلك الجيل - من مجتهدي و مراجع هذه المدرسة الآخرين ، في شتى أقطار العالم الإسلامي كالشيخ حبيب بن قرين ، و ميرزا علي بن موسى ثقة الإسلام ( الشهيد ) ، و ميرزا محمد تقي المامقاني ، و ميرزا إسماعيل المامقاني في تبريز ، و غيرهم من المجتهدين الكبار . إلا أن مرجعيات هؤلاء - وهم من أعلام الشيعة و مراجعها - بقيت مرجعياتهم - في معظم الأحيان - محلية الطابع ، إلا من استثناءات محدودة ، بينما أضحت مرجعية الميرزا موسى الحائري ، مرجعية شاملة واسعة ، إمتدت إلى العديد من بلدان و مدن العالم الإسلامي في إيران و بلاد القفقاز و الهند و باكستان و العراق و الكويت و شرق الجزيرة العربية .

و لم تكن تلك الزعامة ، قد جاءت بمحض الصدفة ، أو لخلو الساحة الإسلامية من المجتهدين الكبار ، أو أنها استمرت لبعض الوقت فقط . بل أن الميرزا الحائري أول المجتهدين الشيعة الكبار ، ممن يبقى في منصب

الزعامة الفكرية و المرجعية المطلقة لأكثر من نصف قرن من الزمن، سيداً على عرشها لا يطمح أحد في مقامها ، و الحائري يعتلي عرشها بوقار الشيوخ .

فإن اعتلى أحد مقام الرياسة هذا ، و استرخى في كرسي الإمارة مستأنساً ، فإن الميرزا الحائري لم يكن يرغب يوماً لأن يعتلي عرشاً أو كرسيًا دنيوياً زائلاً . لقد أعتلى الحائري عرشاً علمياً ، و عمل ما لم يستطع الشباب المندفعين عمله ، و قام بما لم يقم به الشيوخ المترددين . فكان أول المجتهدين الأعلام ممن يستطيع أن يكسر الحصار عن مدرسة آل البيت الحكيمة . بل وينطلق ناشراً فضائلهم عليهم السلام ، فينتشر الإيمان بمدرسة آل البيت الحكيمة و زعيمها الشيخ الأوحـد . حتى ظن البعض، أن الميرزا موسى الحائري ، هو أول من استطاع إدخال فكر الشيخ أحمد الأحسائي إلى الأحساء . وكان الشيخ أحمد الأحسائي أفغانياً أو هندياً ، جاء بمذهب جديد غير مذهب آل البيت عليهم السلام .

و أخيراً نستطيع القول ونحن على ثقة تامة، من أن الميرزا موسى الحائري هو أول المجتهدين الشيعة الكبار ، ممن ليست له ترجمة في كتب التراجم و السير الشيعية . فقد أقصيت ترجمته سهواً ، أو نسياناً و تناسياً، أو ربما جهلاً و تجاهلاً . وفي كثير من الأحيان أقصيت ترجمته عمداً و تعمداً .

## أهم المصادر

( أ )

- أبو بكر عبد الله محمد إبراهيم الشمري ، الفهرست المفيد في تراجم أعلام الخليج ،الدار الوطنية الجديدة ، الخبر، ١٤١٣هـ.
- أحمد عبد الهادي محمد صالح ، ( التلاميذ و المجازون من الشيخ الأحسائي ) مجلة الواحة ، عدد ٣٣ ، السنة العاشرة ، ٢٠٠٤ .
- أحمد عبد الهادي محمد صالح ، أعلام مدرسة الشيخ الأوحى ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٧ ، ٢٠٠٦ .
- أحمد البدر، ( من سيرة الشيخ عبد الله الوصيبي ) ، مجلة الواحة، السنة الحادية عشر، عدد ٣٩ ، ٢٠٠٥ .
- أحمد بن زين الدين الأحسائي، شرح الزيارة الجامعة ، طبعة حديثة دون الإشارة إلى مكان وتاريخ الطبع .
- إسماعيل إبراهيم حريري، الولاية التكوينية، دار الولاء للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤ ، ٢٠٠٣ .

( م )

- محسن الامين ، أعيان الشيعة ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦ ، ١٩٨٦ .
- محمد العزب موسى ، حرية الفكر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩ .
- محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن، دار الإرشاد الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨ ، ١٩٨٨ .
- محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، بيروت ، لبنان ، دار الحياة ، ١٩٧٥ م .

- محمد علي اسبر ، العلامة الاحسائي في دائرة الضوء ، دار الاصاله ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣ ، ١٩٩٣ .
- محمد مهدي الاصفهاني ، احسن الوديعه ، دار الهادي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣ ، ١٩٩٣ .
- محمد حسن الطالقاني ، الشيخية ، الآمال للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠ ، ١٩٩٩ .
- محمد علي الحرز ، ( ملامح الحياة العلمية في الأحساء ) ، مجلة الواحة ، عدد ٤٠ ، ٢٠٠٦ م .
- محمد مهدي شمس الدين ، مواقف و تأملات في قضايا الفكر و السياسة ، طبعة الزهراء ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٥ / ١٩٨٤ .
- محمد هادي الأمين ، معجم رجال الفكر والأدب خلال ألف عام ، منشورات الكتاب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣ ، ١٩٩٢ .
- موسى الحائري ، إحقاق الحق ، منشورات جامع الإمام الصادق ، ط ٤ ، الكويت ، ١٤٢١ ، ٢٠٠٠ .
- موسى الحائري ، الإجازة بين الاجتهاد و السيرة ، تحقيق احمد بوشفيح ، لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحده ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٢ .
- موسى الحائري ، أجوبة مسائل ، الطبعة الثالثة ، لجنة النشر و التوزيع بجامع الإمام الصادق ، الكويت ، ١٤١٩ / ١٩٩٨ .
- موسى الحائري ، رسالة في التفويض ، تحقيق عبد الكريم العقيلي ، مؤسسة بضعة المصطفى ، ١٤١٩ ، ١٩٩٩ م .
- منشورات مكتبة الإمام الصادق ، الأنوار اللامعة من حياة المرجع الديني ميرزا حسن الحائري ، الكويت ، ١٤١١ .

(ج)

- جاسم الصحيح ، أعشاش الملائكة ، توزيع دار الهادي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥ ، ٢٠٠٤ .



- جعفر الباقرى ، ثوابت و متغيرات الحوزة العلمية ، دار الصفوة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥ ، ١٩٩٤ .
- جهاد الخنيزي ، معالم من مرجعية الإمام الشيرازي في القطيف ، دار العلوم ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢ .
- جورج جرداق ، صوت العدالة الإنسانية ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٠ .
- جوستاف لوبون ، سر تطور الأمم ، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ .

### ( ح )

- حبيب آل قرين ، دعوى وحدة الناطق ، تحقيق عبد المنعم العمران ، مؤسسة المصطفى ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٦ ، ٢٠٠٥ .
- حسن الشيخ ، السيدة زينب بطولة ورسالة ، المؤسسة الفكرية للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢ .
- حسن الشيخ ، آخر الفلاسفة ، رؤية عصرية جديدة في فكر الشيخ أحمد الأحساني ، مؤسسة الفكر الإسلامي - بيروت ٢٠٠٣ .
- حسن الشيخ ، فيلسوفان ثائران ، دار الرأي العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤ / ١٥٢٥ .
- حسن فيوضات ، مدخل الى فلسفة الشيخ أحمد الأحساني ، توزيع دار المحجة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤ .
- حسن الكرمي ، معجم المغني الأكبر ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠١ م .
- حسن موسى الصفار ، الإمام علي و قضايا الأمة ، أطيايف للنشر و التوزيع ، الخبر ، السعودية ، ١٤٢٨ - ٢٠٠٧ .
- حكمت العرابي ، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ١٤١١ ، ١٩٩١ .

(خ)

- خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ١٠ ، ١٩٩٢ .

(ر)

- روح الله الموسوي الخميني، ولاية الفقيه، لبنان، بيروت ، ١٤١٤ ، ١٩٩٣ .

(س)

- سلمان بن حسين الحجّي ، سيرة الشيخ محمد بن سلمان الهاجري ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٦ .

(ص)

- صالح السليمي ، أضواء على مدرسة الأحسائي ، مكتبة جامع الإمام الصادق، الكويت ، ب ت .

(ع)

- عبد الله نعمه ، فلاسفة الشيعة ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ب ت .
- عبد الله الرستم ، ملاحظات على موسوعة (أعلام هجر) مجلة الواحة ، العدد الثاني والأربعين ، ٢٠٠٦ .
- عبد الله الخنيزي ، الحركات الفكرية في القطيف ، مؤسسة البلاغ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢ - ٢٠٠٢ .

- عبد العظيم المشيخص ، القطيف وملحقاتها ، منشورات الشيخ للتحقيق و النشر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٣ ، ٢٠٠٢ .
- عبد العلي يوسف آل سيف ، ( إجازة الشيخ عبد الله بن معتوق الخطي للشيخ موسى الحائري الاسكوي ) العدد الثاني والأربعين ، مجلة الواحة ، ٢٠٠٦ .
- عبد العليم خضر ، المسلمون وكتابة التاريخ ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، فرجينيا ، الولايات المتحدة ، ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .
- عبد الجليل الأمير ، فكر ومنهج في فكر الشيخ الأحسائي ، دار النخيل ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٥ ، ١٩٩٥ .
- عبد الجليل الأمير ، من خطى خادم الشريعة ، ب م ، ٢٠٠٤ .
- عبد الجليل الأمير ، فكر الإمام المصلح آية الله ميرزا حسن الإحقاقي ، ب م ، ١٤٢٣ .
- عبد الهادي الفضلي ، ( ذكرى الشيخ ميرزا محسن ) مجلة الموسم ، عدد ٩-١٠ ، ١٩٩١ .
- عبد الرسول الحائري ، قرنان من المرجعية والاجتهاد ، منشورات مكتبة الإمام الصادق ، الكويت ، ١٤١٥ .
- علي ابن الحسين ابن علي المسعودي ، مروج الذهب ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ب ت .
- علي أحمد البهادلي ، الحوزة العلمية في النجف ، دار الزهراء ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣ ، ١٩٩٣ .
- علي أسعد وطفه و عبد الرحمن الأحمد ، التعصب ماهية وانتشارا في الوطن العربي ، مجلة عالم الفكر ، ٢٠٠٢ م .
- علي الحائري الإحقاقي ، عقيدة الشيعة ، ب م ، ١٩٨٦ .
- علي الحائري الإحقاقي ، الكلمات المحكمات ، مكتبة العذراء ، الكويت ، ١٤٢٦ / ٢٠٠٥ .
- علي السلیمان الصوينع ، مصادر التراجم السعودية ، الرياض ، مطبوعات مكتبة الملك فهد ، ١٣١٧ ، ١٩٩٧ .

- علي السلیمان الصوینع ، استرجاع التراجم السعودية في المكتبات ، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية ، العدد الثاني ، ١٩٩٧ .
- علي الشيخ إبراهيم إسماعيل، حقائق، دار الزمان، بغداد، العراق، ١٩٦٥ .
- علي البلادي البحراني ، أنوار البدرين ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ١٤١١ ، ١٩٩١ .
- علي الخاقاني، شعراء الغري أو النجفيات، الطبعة الحيدرية، ١٣٧٣/ ١٩٥٤ .
- عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان، ١٤١٤ ، ١٩٩٣ .

( ق )

- قاموس وبستر، مكتبة لبنان ناشرون، ط٣، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

( ك )

- كاظم الرشتي ، دليل المتحيرين ، جامع الإمام الصادق ، الكويت ، ط ٣ ، ١٤٢٣ ، ٢٠٠٢ .
- كاظم الصحاف ، تذكرة الأشراف في ترجمة آل الصحاف ، تحقيق عبد الله الشايب ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ١٤٢٥ .
- كركس عواد ، معجم المؤلفين العراقيين ، العراق ، بغداد ، ١٩٧٢ م .

( ن )

- ناصيف اليازجي ، مجمع البحرين ، دار البحرين ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى .

- نزار أباضه ومحمد رياض المالح ، إتمام الأعلام ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ .
- نور الدين الشاهرودي ، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء ، دار العلوم، بيروت ، لبنان ، ١٤١٠ ، ١٩٩٠ .

( هـ )

- هاشم محمد الشخص ، أعلام هجر ، مؤسسة ام القرى ، طبعة ثانية ، ١٤١٦ .

## الكاتب في سطور

- حسن بن محمد عيسى الشيخ.
- من مواليد الأحساء - الهفوف.
- بكالوريوس في الآداب - إعلام - صحافة جامعة الملك سعود - الرياض ١٩٨٣.
- ماجستير في الاتصال الإداري - جامعة مشيجين الحكومية - أمريكا ١٩٨٨.
- دكتوراه في الإدارة العامة ، جامعة امباسدور الأهلية ، أمريكا ٢٠٠٥

### العمل الإداري:

- عضو هيئة التدريس بمعهد الإدارة العامة .
- أستاذ برامج الإدارة العامة والاتصال الإداري بالمعهد .
- أستاذ في برامج السلوك الإداري وعلم النفس والتربية .
- أستاذ برامج العلاقات العامة والصحافة بالمعهد .
- منسق قطاع الإدارة العامة بالمعهد ١٩٩٨
- منسق قطاع البرامج العليا بالمعهد ٢٠٠٥

### \* العمل الاستشاري:

- أعد مجموعة من الاستشارات الإدارية لعدد من الأجهزة الحكومية .
- صمم العديد من برامج الإدارة والاتصال الإداري بالمعهد.
- أعد العديد من الحقائق التدريبية في مجالات الإدارة والإشراف والعلاقات العامة
- أشرف على العديد من البحوث الأكاديمية في معهد الإدارة العامة .

\* العمل الإعلامي:

- المشرف على القسم الثقافي سابقا بمجلة ( الشرق ) .
- المحرر الأدبي بجريدة ( الرياض ) السعودية سابقا .
- عضو الهيئة التحريرية لجريدة ( ديوان العرب ) الالكترونية .
- عمل محررا ثقافيا بجريدة ( اليوم ) السعودية .
- عضو هيئة التحرير بمجلة ( الإدارة العامة ) بمعهد الإدارة .
- شارك بالكتابة في العديد من الصحف و المجلات المحلية و الخليجية .
- له كتابات إعلامية وتاريخية و نقدية و قصصية مستمرة في الصحف المحلية .

\* المؤتمرات والجمعيات :

- عضو الجمعية السعودية للإدارة . ٢٠٠٢ م
- عضو الجمعية السعودية للإعلام والاتصال . ٢٠٠٤ م
- عضو الجمعية العربية لإدارة الموارد البشرية . ٢٠٠٥ م
- عضو اتحاد الكتاب العرب على الإنترنت . ٢٠٠٥
- حضر العديد من الندوات والمؤتمرات الإدارية المحلية والدولية .

أولاً: مؤلفاته الإسلامية :

- ١- السيدة زينب ، بطولة ورسالة - المؤسسة الفكرية للمطبوعات، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢ .
- ٢- ملامح من الفكر الإداري عند الإمام علي - دار البيان العربي، بيروت، لبنان ، ١٩٩٣ .
- ٣- آخر الفلاسفة، رؤية عصرية جديدة في فكر الشيخ احمد

- الاحسائي، مؤسسة الفكر الإسلامي - بيروت ٢٠٠٣ .
- ٤- فيلسوفان ثائران، دراسة مقارنة في فلسفتي ابن رشد القرطبي وابن زين الدين الاحسائي، دار الرأي العربي ، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤ .
- ٥- أول المجتهدين، إعادة قراءة في ترجمة الميرزا موسى الحائري، دار الرأي العربي، بيروت، ٢٠٠٨، (هذا الكتاب) .

### ثانياً: مؤلفاته الإدارية:

- ١- دليل رجل الشرطة الميداني - الدمام - ١٩٩٠ م .
- ٢- الإدارة بين يديك، للمديرين ورجال الاعمال - الدمام ١٩٩٢ م .
- ٣- السلوك الإداري بين النظرية والتطبيق - الدمام - ١٩٩٣ م .
- ٤- معجم مصطلحات الإدارة- الشركة الشرقية للصحافة، الدمام ١٩٩٧ م .
- ٥- التجربة المعاصرة للتنظيم الإداري بالمملكة ، كتاب المجلة العربية ، ٢٠٠٤ م
- ٦- الحكومة الإلكترونية التجربة التقانية بالمملكة ، كتاب المجلة العربية ، الرياض ، ٢٠٠٦ م
- ٧- الحكومة الإلكترونية في دول الخليج العربي ، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر ، مصر ، الإسكندرية ، ٢٠٠٨ م

### ثالثاً: مؤلفاته الأدبية :

- ١- ولادة فارس ، (قصص) دار وسيط الجزيرة - الدمام ١٩٩٨ .
- ٢- اختفاء قدوسة (قصص) مطابع الرضا - الدمام- ١٩٩٩



- ٣- الفوارس (رواية) دار الكنوز الأدبية ، بيروت ٢٠٠٣.
- ٤- حافلة الأحساء، (قصص) ، النادي الأدبي بالشرقية ، الدمام  
٢٠٠٤ .
- ٥- غيمة البدري، (قصص) ، فراديس للنشر والتوزيع ، البحرين  
٢٠٠٧ .
- ٦- المنارة ، (رواية) ، فراديس للطباعة والنشر ، البحرين ،  
٢٠٠٨

## الفهرس

الصفحة	العنوان
٧	- موكب مسجى
١٠	- تقديم
١٣	<b>الفصل الأول : فتاوى و حروب</b>
١٥	- حرية التفكير
١٨	- تاريخ الشرق
٢٠	- الكهانة الجديدة
٢١	- منهجية التعصب
٢٤	- الترجمة والصراع
٢٧	<b>الفصل الثاني : خطأ المترجمين</b>
٢٩	- غياب الموازين العلمية
٣١	- وقفة مع التراجم
٣٢	- التراجم الخارجية :
٣٢	- جناية الأعيان
٣٨	- مشاهير (رجال الفكر)
٤٠	- مجتهدى الأصفهاني
٤٤	- فلاسفة الشيخ نعمه
٤٩	- أعلام الزركلي
٥١	- معجم آثار المؤلفين
٥١	- معجم مؤلفي كحاله
٥٢	- المنجد الكاثوليكي
٥٤	- تجارب التراجم المحلية :
٥٤	- أنوار البدرين
٥٦	- أعلام هجر

الصفحة	العنوان
٦٢	- اعلام الخليج
٦٣	- اعلام المدرسة
٦٤	- تراجم المشيخين
٦٥	- التراجم الفردية
٦٦	- نهاية المطاف
٦٩	<b>الفصل الثالث : قراءاة الترجمة</b>
٧٠	- عصر الحائري
٨١	- ابن الأمير
٨٦	- جغرافية المرجعية
٩٦	- مرجعية الحكماء
١٠٣	- البعد العقائدي
١١٠	- إنسانية المرجعية
١١٥	- حركية الوكلاء
١٢٣	<b>الفصل الرابع : أول المجتهدين</b>
١٢٤	- عصر الحائري
١٢٧	- علامات النبوغ
١٣٠	- عطاء المرجعية
١٣٦	- دلالات التكامل
١٤١	أهم المصادر
١٤٨	الكاتب في سطور

